دِيوَان

الخَنْسَاء

مكتبة على بن صالح الرقمية

دِيــوَان
الخَـــــــنْـــــــسَاء

القرن السابع ميلادي

KOTOBONLINE
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

المقدّمة

من هي الخنساء ؟

صاحبة هذا الديوان الشعري الذي بين يديك، عزيزي القارئ، شاعرة مخضرمة عاشت في الجاهلية والإسلام، وهي واحدة من أشهر الشواعر، بله الشعراء في فن الرثاء أو التأبين، وذلك على امتداد أعصر الأدب العربي، في القديم والحديث، على حدّ سواء .

اسمها تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصيّة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .. ولقبها الخنساء، لخنس في أنفها، أو لأنّها تشبه البقرة الوحشية، وهي المعروفة بخنسها الجميل المستحسن . خطبها دريد بن الصّمّة، فردّته لكبر سنّه، وتزوّجها أبو مرداس ابن أبي عامر . عاشت معظم حياتها في الجاهلية، وأدركت الإسلام إلى أن وافتها المنية سنة 24 هـ .

قُتل أخوا الخنساء في الجاهلية فبكتهما بكاء مرّاً، ورثتهما بما لم ترث بمثله شاعرة من قبل ولا بعد .

جعلها ابن سلّام، صاحب «طبقات الشعراء » ثانية في طبقات المشاهير من أصحاب المراثي من الشعراء، وذلك بعد متمم بن نويرة الذي رثى أخاه مالكا، وقبل كل من أعشى باهلة، عامر بن الحارث الذي رثى المنتشر بن وهب بن عجلان الباهلي، وكعب بن سعد بن عمرو الغنوي الذي رثى أخاه أبا المغوار. ولقد رثت الخنساء أخاها صخرا، وكان هذا قد قتل يوم ذي الأثل أو يوم الكلاب، قتله زيد بن ثور الأسدي، وقيل ربيعة بن ثور، وكنيته أبو ثور، وكان صخر ومعه أنس بن عباس الرعلي في بني سليم، وقيل في بني عوف وبني خفاف كانا قد غزوا بني أسد بن خزيمة، فأصابا غنائم كثيرة، وسبيا وافرا. وقيل: إن سبب موت صخر الحسد. أما من حسده فهو يهودي خمار، حسد صخرا على جماله وحسنه، كما حسد بلعاء بن قيس الكناني، وكانا من أجمل فتيان العرب . حسدهما هذا اليهودي فسقاهما شربة جويا منها، أي سلا، فعالجهما بالشفار طبيب، لكن الشفار المحماة بالنار نفذت بعيداً فغارت في جلدهما فكانت سببا في موت الاثنين معا.

ورثت الخنساء أخاها الآخر معاوية وهو من أمّ ثانية، اسمها ندبة، وكانت أمة سوداء، سباها الحارث بن الشريد . وكان معاوية قد غزا، ومعه خفاف بن عمير بن الحارث، بني مرة

بن ذبيان، وبني فزارة، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المرّيّان، فأرديا قتيلاً، فما كان من رفيقه خفاف إلا أن شدّ على مالك بن حمار الشمخي، سيّد بني فزارة، فقتله انتقاماً لمقتل معاوية .

والمهم في الأمر أن الخنساء وقفت شِعرها كه تقريبا، على رثاء أخويها معاوية وصخر خاصة، وقالت فيهما أجمل وأرق وأجزل وأخلد ما قيل في فن الرثاء من قبل ومن بعد .

يا عين مالك لا تبكين تسكابا

قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً : (البحر البسيط)

يا عينُ مالكِ لا تبكينَ تسكابا ... إذْ رابَ دهرٌ وكانَ الدُّهر ريّابا ([1])
فابكي أخاكِ لأيتامٍ وأرملةٍ ... وابكي أخاكِ إذا جاورتِ أجنابا ([2])
وابكي أخاكِ لخيلٍ كالقطا عُصُباً ... فعدْنَ لَّما ثوى سيْباً وأنهابا ([3])
يعدو به سابحٌ نَهْدٌ مراكلُه ... مجلببٌ بسوادِ الليلِ جلبابا ([4])

حتى يُصبَّح أقواماً يحاربُهم أو يُسْلبوا دونَ صفِّ القومِ أسلابا ([5])
هو الفتى الكاملُ الحامي حقيقتَهُ مأوى الضِّـــريك إذا ما جاءَ منتابا ([6])
يَهدي الرَّعيل إذا ضاقَ السبيلُ بهم نهدُ التِّليل لِصَعْبِ الأمرِ ركّابا ([7])
المجدُ حُلَّته والجُودُ عِلَّته والصدقُ حَوزتُه إنْ قِرنَه هابا ([8])
خطَّاب محفلةٍ فرَّاج مظلمةٍ إنْ هاب معضلةً سنّى لها بابا ([9])
حمَّال ألويةٍ قطَّاع أوديةٍ شهَّاد أنديةٍ لِلوَتْرِ طلّابا ([10])
سُمُّ العُداةِ وفكُّاك العُناةِ إذا لاقى الوغى لم يكن لِلموتِ هيّابا ([11])

مأوى اليتيم وغاية المنتاب

وقالت في رثائه : (البحر الكامل)

يابنَ الشِّـــريد على تنائي بينِنا ... حُيِّيت غيرَ مقبِّح مكبابِ ([12])
فكهٌ على خيرِ الغذاءِ إذا غدت ... شهباءُ تقطعُ باليَ الأطنابِ ([13])
أرج العطافِ مهفهف نِعْمَ الفتى ... متسهّل في الأهلِ والأجنابِ ([14])
حامي الحقيقِ تخالُه عندَ الوغى ... أسداً ببيشةَ كاشرَ الأنيابِ ([15])
أسداً تناذره الرُّفاق ضُبارماً ... شثنَ البراثنِ لاحقَ الأقرابِ ([16])
فلئِنْ هلكتَ لقد غنيتَ سميذعاً ... محضَ الضِّـــريبة طيَّب الأثوابِ ([17])
ضخم الدِّسيعة بالنّدى متدّفقاً ... مأوى اليتيم وغايةَ المنتابِ ([18])

أرقت ونام عن سهري صحابي

وفي صخر تقول الخنساء : (البحر الوافر)

أرقتُ ونام عن سهري صحابي كأنَّ النار مشعلةٌ ثيابي
إذا نجم تغوَّرَ كلّفتني خوالد ما تؤوبُ إلى مآبِ ([19])
فقد خلى أبو أوفى خلالاً عليّ فكلُّها دخلت شِعابي ([20])

وليس لها منه سلام ولا حرب

وللخنساء قولها : (البحر الطويل)

وخرقٍ كأنضاءِ القميصِ دويّةٍ مخوفٍ رداه ما يقيمُ به ركبُ ([21])
قطعتَ بمجذامِ الرِّواحِ كأنّها إذا خُطَّ عنها كورُها جملٌ صعبُ ([22])
يعاتبُها في بعضِ ما أذنبت لها فيضـــربُها حيناً وليسَ لها ذنبُ
وقد جعلتْ في نفسِها أنْ تخافَه وليس لها منه سلامٌ ولا حربُ
فطرتَ بها حتّى إذا اشتدّ ظمؤُها وحُبَّ إلى القومِ الإناخةُ والشُّـــرب ([23])
أنختُ إلى مظلومةٍ غيرِ مسكنٍ حواملُها عوجٌ وأفنانُها رطبُ ([24])
فناط إليها سيفه ورداءه وجاء إلى أفياءِ ما علقَ الرُّكب ([25])

فأغفى قليلاً ثمَّ طار برحلِها ليكسبَ مجداً أو يحورَ لها نهبُ ([26])
فثارت تُباري أعوجيّاً مصدّراً طويل عذارِ الخدِّ جؤجؤُه رحبُ ([27])

ما بالُ عينيك منها دمعها سرب

وفي صخر تقول : (البحر البسيط)

ما بالُ عينيكِ منها دمعُها سرِبُ ... أراعها حَزَنٌ أمْ عادها طَربُ ([28])
أم ذكرُ صخرٍ بُعيدَ النَّوم هيَّجها ... فالدُّمع منها عليه الدَّهر ينسكبُ
يا لهفَ نفســـي على صَخرٍ إذا ركبتْ ... خيلٌ لخيلٍ تُنادي ثم تضطربُ
قد كان حصناً شديد الرِّكن ممتنعاً ... ليثاً إذا نزلَ الفتيانُ أو ركبوا
أغرُّ أزهرُ مثلُ البدر صورتهُ ... صافٍ عتيقٌ فما في وجههِ نُدبُ ([29])
يا فارسَ الخيلِ إذْ شدَّت رحائلُها ... ومطعمَ الجُوَّعِ الهَلْكى إذا سغبوا ([30])
كم مِن ضرائِكَ هلَّاك وأرملة ... حلُّوا لديكَ فزالت عنهم الكُرَبُ ([31])
سَقياً لِقبركَ مِن قيرٍ ولا برحت ... جُودُ الرَّواعد تَسقيهِ وتحتلبُ ([32])
ماذا تضمَّنَ مِن جودٍ ومِن كرمٍ ... ومن خلائقَ ما فيهنَّ مُقتضَبُ ([33])

يا عين جودي بدمع منك مسكوب

وفي أخيها تقول الخنساء راثية : (البحر البسيط)

يا عينُ جودي بدمعٍ منكِ مسكوبِ ... كلؤلؤٍ جالَ في الأسماطِ مثقوبِ ([34])
إنّي تذكُّرته واللّيل معتكرٌ ... ففي فؤاديَ صدعٌ غيرُ مشعوب ([35])
نعمَ الفتى كان للأضيافِ إذْ نزلوا ... وسائلٍ حلَّ بعد النَّوم محروبِ ([36])
كم مِن منادٍ دعا واللّيل مكتنعٌ ... نفُّست عنه جبالَ الموتِ مكروبِ ([37])
ومن أسيرٍ بلا شكرٍ جزاك به ... بساعديْهِ كلومٌ غير تجليب ([38])
فككتَه ومقالٍ قلتُهُ حسنٍ ... بعدَ المقالةِ لم يُؤبنْ بتكذيبِ ([39])

ويقصم عود النبع وهو صليب

وفي رثاء صخر تقول الخنساء : (البحر الطويل)

تقولُ نساءٌ شبتِ مِن غير كبرْةٍ ... وأيســرُ ممَّا قد لقيت يُشيبُ
أقولُ أبا حسَّان لا العيشُ طيِّب ... وكيفَ وقد أفردتُ منكَ يطيبُ ([40])
فتَى السّنِّ كهل الحلم لا متســرِّع ... ولا جامدٌ جعدُ اليديْنِ جديبُ ([41])
أخو الفضلِ لا باغ عَليه لِفضلِه ... ولا هو خرقٌ في الوجوهِ قطوبُ ([42])
إذا ذكرَ النَّاس السَّماح مِنِ امْرئ ... وأكرمَ أو قال الصَّواب خطيبُ
ذكرتُكَ فَاسْتعبرتُ والصَّدر كاظِمٌ ... على غصَّة منها الفؤادُ يذوبُ ([43])
لَعمري لقد أوهيتَ قلبي عنِ العزا ... وطأطأتَ رأسي والفؤادُ كئيبُ
لقد قصمتْ منِّي قناة صليبةٌ ... ويُقصم عودُ النَّبعِ وَهْوَ صليبُ ([44])

* * *

فما أحنثَتك الخيل حتى أبرّت

وقالت في رثاء أخيها صخر : (البحر الطويل)

أعينُ ألا فابْكي لِصخرٍ بدرَّة ... إذا الخيلُ مِن طولِ الوجيفِ اقشعرَّتِ ([45])
إذا زجروها في الصِّريـــخ وطابقت ... طباقَ كلابٍ في الهراشِ وهرَّتِ ([46])
شددتَ عصابَ الحربِ إذ هي مانعٌ ... فألقت برجليْها مريّاً فدرَّتِ ([47])
وكانت إذا ما رامها قبلُ حالبٌ ... تقتْهُ بإيزاغ دماً واقمطرَّتِ ([48])
وكان أبو حسَّان صخرٌ أصابَها ... فأرغثها بالرُّمح حتى أقرَّتِ ([49])
كراهيةً والصُّبر منكَ سجيَّةٌ ... إذا ما رَحى الحربِ العوانِ استدرَّتِ ([50])

أقاموا جنابَيْ رأسِها وترافدوا ... على صعبِها يومَ الوغى فاسبطرَّتِ ([51])
عوانٌ ضروسٌ ما ينادي وليدُها ... تلقُّح بالمرّان حتّى استمرَّتِ ([52])
حلفتُ على أهلِ اللِّواء ليُوضَعَنْ ... فما أحنثتك الخيلُ حتى أبرَّتِ ([53])
وخيلٍ تنادى لا هوادة بينَها ... مررت لها دونَ السَّوام ومرَّتِ ([54])
كأنَّ مدِلًّا مِن أسودِ تبالةٍ ... يكون لها حيثُ استدارتْ وكرَّتِ ([55])

فقد عظمت مصيبته وجلّت

وقالت في صخر : (البحر الوافر)

ألا يا عينُ فَانْهمري وقلّتْ ... لِمَرزِئةٍ أُصِبْتُ بها تولَّتْ ([56])
لمرزئةٍ كأنّ النَّفس منها ... بُعيدَ النِّوم تشعلُ يومَ غلّتْ
ألا يا عينُ ويحكِ أسعديني ... فقد عظمت مصيبتُه وجلّتْ ([57])
مصيبتُه عليَّ وروَّعتني ... فقد خَصَّت مصيبتُه وعَمَّتْ ([58])
لَوَ انَّ الكفَّ تُقبَل في فِداهُ ... بذلتُ يدي اليمينَ له فشَلَّتْ ([59])
كما والى علينا مِن نداه ... وشادَ لنا المكارمَ فاستهلَّتْ
فلم ينزعْ وما قصــرت يداه ... ولم يبلغْ ثنائي حيثُ حَلَّتْ

وكنت لنا عيشاً وظلَّ ربابة

وقالت في صخر راثية : (البحر الطويل)

ألهفي على صخرٍ فإنّي أرى له ... نوافلَ مِن معروفِه قد تولِّت ([60])
ألهفي على صخرٍ لقد كانَ عصمةً ... لمولاه إنْ نعلٌ بمولاه زلِّت ([61])
يعودُ على مولاه منه برأفةٍ ... إذا ما الموالي مِن أخيها تخلِّت
وكنت إذا كفٌّ أتتكَ عديمة ... تُرَجّي نوالاً مِن سحابكَ بلِّت ([62])
ومختنقٍ راخى ابنَ عمرو خناقَه ... وغُمَّته عن وجههِ فتجلِّت ([63])
وظاعنةٍ في الحيّ لولا عطاؤُه ... غداةَ غدٍ مِن أهلِها ما استقلِّت ([64])
وكنتَ لنا عيشاً وظلَّ ربابةٍ ... إذا نحنُ شئنا بالنِّوال استهلَّتِ ([65])
فتًى كان ذا حلم أصيل وتُؤْدةٍ ... إذا ما الحُبى من طائِف الجهل حلِّت
وماكرَّ إلا كان أوَّل طاعنٍ ... ولا أبصـــرته الخيلُ إلَّا اقشعرِّت
فيدركُ ثأراً ثمَّ لم يُخْطِهِ الغنى ... فمثلُ أخي يوماً به العينُ قرِّت
فإنْ طلبوا وِتراً بدا بتراتِهم ... ويصبر يحميهم إذا الخيلُ ولِّت
فلست أُرَزَّا بَعْدَه برزيِّة ... فأذكره إلاَّ سلَتْ وتجلِّت ([66])

* * *

مبيح تلاد المستغشّ المكاشح

وقالت في رثاء صخر، أخيها : (البحر الطويل)

جرى ليَ طيرٌ في حمام حذرتُه ... عليكَ ابنَ عمرٍو مِن سنيحٍ وبارحِ ([67])
فلم يُنْجِ صخراً ما حذرتُ وغالَه ... مواقعُ غادٍ للمنونِ ورائحِ ([68])
رهينةَ رمسٍ قد تجرَّ ذيولها ... عليه سوافي الرِّامسات البوارح ([69])
فيا عينُ بكّي لِامرئٍ طارَ ذكرُه ... له تبكِ عينُ الرِّاكضات السَّوابح ([70])
وكلُّ طويلِ المتنِ أسمرَ ذابلٍ ... وكلُّ عتيقٍ في جيادِ الصِّفائح ([71])
وكلُّ دِلاصٍ كالأضاةِ مذالةٍ ... وكلُّ جوادٍ بيِّن العتقِ قارحِ ([72])

وكلِّ ذمول كالفنيق شملَّةٍ ... وكلُّ سريعٍ آخرَ الليل آزحِ ([73])
وللجارِ يوماً إنْ دعا لمضيفةٍ ... دعا مستغيثاً أوّلاً بالجوانحِ
أخو الحزم في الهيجاءِ والعزم في التي ... لِوقعتِها يسودُّ بيضُ المسايحِ
حسيبٌ لبيبٌ متلفٌ ما أفاده ... مبيحُ تلادِ المستغشِّ المكاشح ([74])

يا_عين_جودي

وقالت ترثي صخراً : (مجزوء الكامل)

يا عينُ جودي بالدّموع المستهلاّت السَّوافحْ ([75])
فيضاً كما فاضت غروبُ المترعاتِ منَ النّواضحْ ([76])
وَابْكي لصخرٍ إذ ثوى بينَ الضِّــريحة والصّفائحْ ([77])
رمساً لدى جدثٍ تُذيع بتربهِ هُوجُ النّوافحْ ([78])
السّيُّد الجحجاحُ وابنُ السّادة الشّمّ الجحاجحْ ([79])
الحامل الثّقل المهمَّ منَ الملمّات الفوادحْ
الجابر العظمَ الكسيرَ من المهاصرِ والممانحْ ([80])

الواهب المائةَ الهجانَ من الخناذيذِ السّوابحْ ([81])
الغافر الذَّنب العظيمَ لِذي القرابةِ والممالحْ
بتعمِّد منه وحلم حينَ يبغي الحلمَ راجحْ
ذاك الذي كُنّا به نشفيً المراضَ منَ الجوانحْ ([82])
ويردُّ بادرةَ العدوِّ ونخوةَ الشِّنفِ المكاشحْ ([83])
فأصابنا ريبُ الزّمان فنالنا منه بِناطحْ
فكأنَّما أمَّ الزُّمان نحورَنا بمُدى الذّبائحْ ([84])
فنساؤُنا يندبْنَ نَوْحاً بعد هاديةِ النّوائحْ ([85])
يحننِّ بعد كرى العيون حنينَ والهةٍ قوامحْ ([86])
شعثٌ شواحبُ لا ينينَ إذا ونى ليلُ النّوائحْ ([87])
يندبْنَ فقدَ أخي النّدى والخير والشِّيم الصّوالحْ ([88])
والجود والأيدي الطوال المستفيضات السّوامحْ
فالآنَ نحن ومَن سوانا مثل أسنانِ القوارحْ ([89])

ذري عنك أقوال الضّلال

وقالت تفخر على سلمى بنت عميص، من بني كنانة، وكانت هذه قد فاخرت الخنساء من قبل ([90]) ، فأجابتها الخنساء قائلة : (البحر الطويل)

ذري عنكِ أقوالَ الضّلالِ كفى بنا
فخالدُ أولى بالتعذّر منكمُ
عليكم بإذنِ اللهِ يزجي مصمّماً
نَعَوْا مالكاً بالتّاج لمّا هبطنه
فإنْ تك قد أبكتك سلمى بمالكٍ
لِكبشِ الوغى في اليومِ والأمسِ ناطحا ([91])
غداةَ علا نهجاً منَ الحقِّ واضحا
سوانح لا تكبو لها وبوارحا ([92])
عوابسَ في هابي الغبارِ كوالحا ([93])
تركنا عليه نائحاتٍ ونائحا

مِدرهُ الحرب حين يلقي نِطاحا

وقالت في رثاء صخر : (البحر الخفيف)

لا تَخَلْ أنُّني لقيت رواحا ... بعد صخرٍ حتى أثِنْنَ نواحا ([94])
من ضميري بلوعةِ الحزنِ حتّى ... نكأ الحزنَ في فؤادي فقاحا ([95])

لا تخلْني أنُّي نسيت ولا بلَّ ... فؤادي ولو شربتُ القراحا ([96])
ذكرُ صخرٍ إذا ذكرتُ نداه ... عِيل صبري برزئِه ثم باحا ([97])
دقّ عظمي وهاض منّي جناحي ... هُلْكُ صخرٍ فما أُطيقُ بَراحا ([98])
مَن لِضيفٍ يحلُّ بالحيِّ عانٍ ... بعدَ صخرٍ إذا دعاه صياحا ([99])
وعليه أرامِلُ الحيِّ والسَّفْرُ ... ومعترُّهم بهِ قد ألاحا ([100])
وعطايا يهزُّها بسماح ... وطماحٍ لمن أراد طماحا ([101])
ظفِرٌ بالأمورِ جلْد نجيبٌ ... وإذا ما سما لِحربٍ أباحا ([102])
وبحلم إذا الجهولُ اعتراه ... يردعُ الجهلَ بعدما قد أشاحا ([103])
إنّني قد علمت وجدِّك بالحمد ... وإطلاقَك العُناةَ سماحا ([104])
فارسٌ يضـــربُ الكتيبةَ بالسِّيف ... إذا أردفَ العويلُ الصّياحا
يقبلُ الطّعن للنِّحور بشزر ... حين يسمو حتّى يلين الجراحا
مقبلات حتّى يولِّينَ عنه ... مدبرات وما يُرِدْن كفاحا
كم طريدٍ قد سكَّن الجأشَ منه ... كان يدعو بصفّهنُّ صراحا
فارس الحربِ والمعمَّم فيها ... مِدْرَهُ الحربِ حين يَلقى نطاحا ([105])

* * *

يابن الشّريد وخير قيس كلّها

وقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر : (البحر البسيط)

يابنَ الشِّـــريد وخيرَ قيسٍ كلِّها ... خلِّفتني في حســـرة وتبلُّدِ ([106])
فَلأَبكينَّك ما سمعت حمامةً ... تدعو هديلاً في فروعِ الفرقدِ ([107])
أنتَ المهنَّد من سُلَيم في العلا ... والفرعُ لم يسبِ الكرامَ بمشهدِ ([108])
قد كنتَ حصناً للعشيرةِ كلِّها ... وخطيبَها عندَ الهمامِ الأصيدِ ([109])
فَاذْهبْ ولا تُبعدْ وكلُّ معمَّرٍ ... سيذوقُ كأسَ منيَّةٍ بتَنكّدِ ([110])
للهِ درُّ بني نهاسرَ إنّهم ... هدموا العمودَ وأدركوا بالأسودِ
ضخمَ الدِّسيعة ماجداً أعراقُه ... كالبدرِ أو في طلعةٍ كالأسعدِ ([111])

يا_عين_جودي

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (مجزوء الكامل)

يا عينُ جودي بالدِّموع ... فقد جفت عنكِ المراوِدْ ([112])
وابكي لصخرٍ إنّه ... شقَّ الفؤاد لِما يكابِدْ
المستضافِ من السَّنين ... إذا قسا منها المحارِدْ ([113])
حينَ الرُّياح بلائلٌ ... نُكْبٌ هوائجُها صوارِدْ ([114])
ينفينَ عن ليطِ السِّماء ... ظلائلاً والماءُ جامِدْ ([115])
مِزَقاً تُطرِّدها الرُّياح ... كأنِّها خرَقٌ طرائِدْ
والمالُ عندَ ذوي البقيّـــ ... ـةِ والغِنى خذمٌ شرائِدْ ([116])
فيفُكَّ كربة مَن تمخَّخ ... نقيةَ الدِّول الجهائِدْ ([117])
حتَّى يؤوب بما يؤوبُ ... كثيرَ فضلِ العرفِ حامِدْ
وندالك محتضـــرٌ ونورك ... في دُجى الظِّلماء واقِدْ
لو ترسل الإبلُ الظُّماء ... يسمن ليس لهنّ قائِدْ
لتيمّمتك يدلّها ... جدواك والسُّبل الموارِدْ ([118])
والناس سابلةٌ إليك ... فصادرٌ بِغنىً وواردْ ([119])

يغشون منكَ غُطامطاً ... جاشت بِوابِلة الرّواعِدْ ([120])
يابنَ القروم ذوي الحِجَا ... وابنَ الخضارمةِ المرافِدْ ([121])
وابنَ المهائرِ للمهائرِ ... زانها الشِّيمُ المواجِدْ ([122])
وحُماةَ مَن يُدعى إذا ... ما طارَ عندَ الموتِ عارِدْ ([123])
ومعاصمٍ للهالكين ... وساسةٍ قِدْماً محاشِدْ ([124])

ولست أرى شيئاً على الدّهر خالداً

وقالت إثر مقتل معاوية، أخيها، تحرُّض عامراً وسليماً من هوازن على غطفان، وبني مرّة الذين منهم هاشم بن حرملة قاتل معاوية : (البحر الطويل)

ولا شيءَ يبقى غيرَ وجهِ مليكِنا ... ولستُ أرى شيئاً على الدِّهر خالدا
ألا إنَّ يوم ابنِ الشــّريدِ ورهطِه ... أباد جِفاناً والقدورَ الرّواكدا ([125])
همُ يملؤونَ لليتيم إناءَه ... وهم يُنجزون للخليلِ المواعدا
ألا أبلغا عنّي سلَيماً وعامراً ... ومن كان مِن عُليا هوازنَ شاهدا ([126])
بأنَّ بني ذبيان قد أرصدوا لكم ... إذا ما تلاقيتم بأنْ لا تعاودا ([127])

فلا يقرَبِنّ الأرضَ إلاّ مسارق ... يخاف خميساً مطلعَ الشّمس حاردا
على كلِّ جرداء النِّسالة ضامرٍ ... بآخرِ ليلٍ ما ضفزن الحدائدا ([128])
فقد زاح عنّا اللَّوم إذ تركوا لنا ... أروماً فآراماً فماءً بواردا ([129])
ونحنُ قتلنا هاشماً وابنَ أختِه ... ولا صلحَ حتَّى نستقيد الخرائدا ([130])
فقد جرت العاداتُ أنّا لدى الوغى ... سنظفُر والإنسانُ يبغي الفوائدا

ألا تبكيان لصخر النّدى؟

وقالت في رثاء صخر : (البحر المتقارب)

أعينيّ جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لِصخرِ النّدى؟ ! ([131])
ألا تبكيانِ الفتى السّيّدا ... ألا تبكيانِ الفتى السّيّدا
طويلُ النِّجاد رفيعُ العمادِ ... سادَ عشيرتَه أمردا ([132])
إذا القومُ مدُّوا بأيديهم ... إلى المجدِ مدّ إليه يدا
فنال الذي فوقَ أيديهمِ ... من المجدِ ثمَّ مضـــى مصْعِدا
يُكلِّفه القومُ ما عالَهم ... وإنْ كان أصغرَهم مولدا ([133])
ترى المجدَ يهوي إلى بيتِه ... يُرى أفضلَ الكسبِ أنْ يُحمدا
وإنْ ذُكرَ المجدُ ألفيتَهُ ... تأزَّر بالمجدِ ثمّ ارتدى ([134])

بكت عيني وعاودت السهودا

وقالت ترثي صخراً ومعاوية : (البحر الوافر)

بكتْ عيني وعاودتِ السّهودا ... وبتُّ اللَّيل جانحةً عميدا ([135])
لِذكرى معشـــر وَلَّوْا وخلّوا ... علينا مِن خلافتِهم فقودا
ووافوا ظِمءَ خامسةٍ فأمسوا ... مع الماضينَ قد تبعوا ثمودا ([136])
فكم مِن فارسٍ لكِ أمَّ عَمْرٍو ... يحوطُ سنانُه الأنسَ المريدا
كصخرٍ أوِ معاويةَ بنِ عَمْرٍو ... إذا كانت وجوهُ القوم سودا
يردُّ الخيلَ داميةً كُلاها ... جديرٌ يومَ هيجا أنْ يصيدا
يكبَّون العشار لمن أتاهم ... إذا لمْ تحسب المائةُ الوليدا ([137])

فلا تبعد أبو حسّان صخر

وقالت في رثاء صخر : (البحر الوافر)

أحاجَ لكِ الدِّموع على ابن عمرٍو ... مصائبُ قد رزئتِ بها فجودي ([138])
بسجلٍ منكِ منحدرٍ عليه ... فما ينفكُّ مثلَ عدا الفريدِ ([139])
على فرعٍ رزئتِ به خناسٌ ... طويلِ الباعِ فيَّاض حميدِ ([140])
جليدٍ كانَ خير بني سُليمٍ ... كريمهِم المسوِّد والمسود ([141])

أبو حسَّان كان ثمالَ قومي ... فأصبح ثاوياً بينَ اللِّحود ([142])
رهينَ بلًى وكلٌّ فـــتًى سيبلى ... فأذري الدَّمعَ بالسِّكب المجودِ
فأقسمُ لو بقيتَ لكنتَ فينا ... عديداً لا يكاثَرُ بالعديدِ
ولكنَّ الحوادث طارقات ... لها صرفٌ على الرِّحل الجليدِ
فإنْ تكُ قد أتتكَ فلا تنادي ... فقد أودت بفيَّاض مجيدِ ([143])
جليدٍ جازمٍ قدْماً أتاه ... صروفُ الدِّهر بعدَ بني ثمودِ
وعاداً قد عَلاها الدُّهر قَسْـــراً ... وحميرُ والجنودَ مع الجنودِ ([144])
فلا يُبعدْ أبو حسَّان صخرٌ ... وحلَّ برمسِه طيرُ السِّعود ([145])

سمح الخليقة لا نكس ولا غمر

وقالت في رثاء صخر : (البحر البسيط)

أبكي لِصخرٍ إذا ناحتْ مطوَّقة ... حمامةٌ شجوها ورقاء بالوادي ([146])
إذا تلأَّم في زعف مضاعفةٍ ... وصارمٍ مثلِ لونِ الملحِ جرِّاد ([147])
ونبعةٍ ذاتِ إرنانٍ وولولةٍ ... ومارنٍ العودِ لا كزٍّ ولا عادِ ([148])
سمحُ الخليقةِ لا نِكسٌ ولا غمِرٌ ... بل باسلٌ مثلُ ليثِ الغابةِ العادي ([149])

مِن أُسْدِ بيشةَ يحمي الخِلَّ ذي لِبَدٍ ... مِن أهلِه الحاضرِ الأدنينَ والبادي ([150])
والمشبعِ القومَ إنْ هبَّت مصـــرصرة ... نكباءُ مغبرَّة هبّت بصـــرِّاد ([151])

ضاقت بي الأرض

وقالت في رثاء صخر : (البحر البسيط)

ضاقت بيَ الأرض وانقضَّت مخارمها ... حتِّى تخاشعت الأعلامُ والبيدُ ([152])
وقائلين تعزَّيْ عن تذكُّرِهِ ... فالصَّبر ليسَ لأمرِ اللهِ مردودُ
يا صخرُ قد كنتَ بدراً يُستضاءُ به ... فقد ثوى يومَ متَّ المجدُ والجودُ
فاليومَ أمسيتَ لا يرجوك ذو أملٍ ... لمَّا هلكت وحوضُ الموت مورودُ
ورُبَّ ثغرٍ مهولٍ خضتَ غمرتَه ... بالمقرباتِ عليها الفتيةُ الصِّيدُ ([153])
نصبتَ للقَومِ فيه فصلَ أعينهِم ... مثلَ الشِّهاب وَهَى منهم عباديدُ ([154])

حتّى توفّاك ربّ الناس محمودا

وقالت ترثي أخاها : (البحر البسيط)

عينيَّ جودا بدمعٍ منكما جودا
جودا ولا تعِدا في اليوم موعودا
هل تدريانِ علىً مَن ذا سبلتكما
على ابنِ أمُّي أبيت اللَّيل معمودا ([155])
دارت بنا الأرضُ أو عادت تدورُ بنا
يا لهفَ نفســـي فقد لاقيتُ صنديدا ([156])

يا عينُ فابكي فتًى محضاً ضرائبُه
صعباً مراقبُه سهلاً إذا ريدا ([157])
لا يأخذُ الخسفَ في قوم فيغضبهم
ولا تراه إذا ما قام محدودا
ولا يقومُ إلى ابنِ العمِّ يَشتمُه
ولا يدبُّ إلى الجاراتِ تخويدا ([158])
كأنَّما خلق الرُّحمن صورتَه
دينارَ عينٍ يراه النُّاس منقودا
اذهبْ حريباً جزاكَ اللهُ جنَّته
عنُّا وخلَّدت في الفردوس تخليدا ([159])
قد عشتَ فينا ولا تَرمي بفاحشةٍ
حتّى توفَّاك ربُّ النِّاس محمودا

ونيران حرب حين شبّ وقودها

وقالت في رثاء أبيها وأخويها، وكانت هند بنت عتبة قد فخرت على الخنساء بأنها أشدّ مصاباً وذلك بفقدها أباها عتبة وعمها شيبة، وأخاها الوليد، يوم بدر، فأجابتها الخنساء قائلة : (البحر الطويل)

أُبكِّي أبي عمراً بعين غزيرةٍ ... قليلٍ إذا نامَ الخليُّ هجودُها ([160])
وصنويَّ لا أنسى معاويةَ الذي ... له من سَراةِ الحَرّتيْنِ وفودُها ([161])
وصخراً ومَن ذا مثلُ صخرٍ إذا غدا ... بساحتِه الأبطالُ قَرْمٌ يقودُها ([162])
فذلك يا هندُ الرّزيُّة فاعلمي ... ونيرانُ حربٍ حينَ شبَّ وقودُها ([163])

* * *

كالشمس في خير البشر

وللخنساء راثية أخاها : (مجزوء الكامل)

يا عينُ جودي بالدِّموع ... على الفتى القَرْمِ الأغرْ ([164])
أبيضُ أبلجُ وجهُه ... كالشَّمس في خيرِ البشـــرْ
والشَّمس كاسفةٌ لمهلكه ... وما اتَّسقَ القمرْ
والإنسُ تبكي وُلَّهاً ... والجنُّ تسعدُ من سمرْ ([165])
والوحشُ تبكي شجوَها ... لمّا أتى عنه الخبرْ
المِدرهُ الفيَّاضِ يحملُ ... عن عشيرتِه الكبَرْ ([166])
يُعطي الجزيلَ ولا يمنُّ ... وليسَ شيمتَه العَسَـــرْ
ويلي عليه ويلةً ... أصبحتُ حِصني منكســـرْ

كِبنات الماء في الضّحل الكدر

وقالت في صخر : (بحر الرمل)

عينُ فابكي لي على صخرٍ إذا علتِ الشُّفرة أثباجَ الجُزُرْ ([167])

يشبعُ القومُ منَ الشّحم إذا ألوتِ الرُّيح بأغصانِ الشّجرْ
وإذا ما البِيضُ يمشينَ معاً كبناتِ الماءِ في الضِّحل الكدِرْ
جانحاتٍ تحتَ أطرافِ القنا باديات السُّوقِ في فَجٍّ حذرْ
يطعنُ الطَّعنة لا يُرقئُها رقيةُ الرّاقي ولا عُصْبُ الخُمُر ([168])

فاذهب حميداً ...

وقال الخنساء ترثي أخاها صخراً : (البحر البسيط)

كنّا كأنجم ليلٍ وسطَها قمرُ يجلو الدِّجى فهوى من بينِنا القمرُ
يا صخرُ ما كنتُ في قوم أسرُّبهم إلاّ وإنَّك بين القوم مشتهرُ
فاذهبْ حميداً على ما كانَ مِن حدثٍ فقد سلكتَ سبيلاً فيه معتبرُ

كنّا كغصنين ...

وفي صخر، أخيها ينسب إليها القول : (البحر البسيط)

كنّا كغصيْنِ في جرثومةٍ بسقا ... حيناً على خيرِ ما يُنمى له الشُّجر ([169])
حتى إذا قيلَ قد طالت عروقُهما ... وطابَ غرسُهما واستوسقَ الثُّمر ([170])
أخنى على واحدٍ ريبُ الزِّمان وما ... يُبقي الزُّمان على شيءٍ ولا يذرُ

وافي الذّمام إذا ما معشر غدروا

وقالت ترثي صخراً : (البحر البسيط)

إنّي تأوّبني الأحزان والسُّهر ... فالعينُ منّي هدوءاً دمعها درر ([171])

تبكي لصخرٍ وقد راب الزُّمان به ... إذْ غاله حدثُ الأيّام والقدرُ ([172])
سمحٌ خلائقُهُ جزلٌ مواهبُه ... وافي الذِّمام إذا ما معشــرٌ غدروا ([173])
مأوى الضِّــريك ومأوى كلِّ أرملةٍ ... عندَ المحولِ إذا ما هبّت القُرَرُ ([174])
ما بارز القرنَ يوماً عند معركةٍ ... إلاَّ له يوم تسمو الكرُّة الظَّفرُ

جارى أباه ...

وللخنساء في أخيها صخر : (البحر الكامل)

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاورانِ مُلاءةَ الفخر ([175])
حتى إذا نزتِ القلوبُ وقد ... لزَّت هناك العذر بالعُذرِ ([176])
وعلا هتافُ الناسِ أيُّهما؟ ... قال المجيبُ هناك : لا أدري
برزت صحيفةُ وجهِ والدِه ... ومضـــى على غُلَوائِه يجري ([177])
أولى فأولى أنْ يُساويَه ... لولا جلالُ السّنِّ والكبرِ
وهما كأنّهما وقد برزا ... صقران قد حطّا على وكر

لقد أودى الزّمان إذاً بصخر

ومما قالته الخنساء لدريد بن الصّمّة وكان هذا عرض الزواج بها، ووافق على ذلك معاوية، أخوها، لكن أبت ذلك وكان صخر بعيداً عنها في الغزو، وقيل بل إن الخنساء قالت هذا الشعر في رثاء أخيها يوم ذي الأثل : (البحر الوافر)

يبادرُني حميدة كلِّ يومٍ فما يولي معاويةَ بن عمروِ

لئن لم أؤْت مِن نفســـي نصيباً لقد أودى الزُّمان إذاً بصخرِ
أتُكرِهُني، هُبلتَ، على دريدٍ وقد أحرمتَ سيِّد آل بدر ([178])
معاذَ اللهِ ينكحُني حَبَرْكى قصيرُ الشِّبر من جُشَم بنِ بكرِ ([179])
يرى مجداً ومكرمةً أتاها إذا عشّى الصَّديق جريمَ تمرِ
ولو أصبحتُ في جشمٍ هدِيّاً إذاً أصبحتُ في دنسٍ وفقرِ ([180])

فقد كان بسّاماً ومحتضر القدر

وللخنساء في رثاء صخر : (البحر الطويل)

أعينيّ جودا بالدِّموع على صخرِ ... على البطل المقدام والسّيِّد الغمر ([181])
ليَبْكِ عليه مِن سُليمٍ جماعةٌ ... فقد كان بسَّاماً ومَحتضـــرَ القِدرِ

ويدرك وتره في كلّ وتر

وللخنساء في معاوية، أخيها : (البحر الوافر)

دعوتم عامراً فنبذتموه ... ولم تدعوا معاويةَ بنَ عمرو
ولو ناديته لأتاك يسعى ... حثيثَ الرِّكض أو لأتاك يجري
مُدِلاً حينَ تشتجرُ العوالي ... ويدركُ وترَه في كلِّ وترِ ([182])
إذا لاقى المنايا لا يبالي ... أفي يُســـرٍ أتاه أم بعُسْـــرِ
كمثلِ اللّيث مفترشٍ يديْهِ ... جريءِ الصِّدر رئبالٍ سِبَطْرِ ([183])

وأيّ فتى كصخر

وقالت الخنساء في أخيها صخر راثية : (البحر الوافر)

ألا يا عينُ فانهمري بغُدْرِ
وفيضـــي فيضةً مِن غير نزرِ ([184])
ولا تعِدي عزاءً بعدَ صخرٍ
فقد غُلب العزاءُ وعيل صبري
لِمَرْزِئةٍ كأنَّ الخوفَ منها
بُعيدَ النَّوم يُشعر حرِّ جمر
على صخرٍ وأيُّ فتىً كصخرٍ
لِعانٍ عائلٍ غلقٍ بوترِ ([185])
وللخصم الأَلدّ إذا تعدّى
ليأخذَ حقَّ مقهورٍ بقصـــرِ
وللأضيافِ إذْ طرقوا هدوءاً
وللكلِّ المُكِلّ وكلِّ سَفْرِ ([186])
إذا نزلتْ بهم سنةٌ جمادٌ
أبيّ الدّرّ لم تكسعْ بغُبرِ ([187])
هناك يكونُ غيثُ حياً تلاقى
نداه في جنابٍ غيرِ وعرِ ([188])
وأحيا من مخبّأة كعاب
وأشجعَ من أبي شبلٍ هزَبرِ ([189])
هريتِ الشِّدق رئبالٍ إذا ما
عدا لم تنهِ عدوتَه بزجرِ ([190])
ضبارمةٌ توسَّد ساعديْه
على طرقِ الغزاةِ وكلِّ بحرِ ([191])
تدينُ الخادراتُ له إذا ما
سمعنَ زئيرَه في كلِّ فجرِ ([192])
قواعدُ ما يلمُّ بها عريبٌ
لعســـرٍ في الزِّمان ولا ليســـرِ ([193])

فإمَّا يمسِ في جدثٍ مقيماً
بمعترَكٍ منَ الأرواحِ قفرِ ([194])
فقد يَعْصَوْصِبُ الجادون منه
بأروعَ ماجدِ الأعراقِ غَمْرِ ([195])
إذا ما الضَّيف حلَّ إلى ذُراه
تلقّاه بوجه غير بَســـرِ ([196])
تَفَرَّج بالنّدى الأبوابُ عنه
ولا يُكتنَّ دونهم بسترِ ([197])
دهتني الحادثاتُ به فأمست
عليَّ همومها تغدو وتســـري
لو انَّ الدَّهر متَّخذ خليلاً
لكان خليلَه صخرُ بنُ عمرو

ماذا يحملون إلى القبر؟

وقالت الخنساء ترثي صخراً، وهو من جيِّد الرثاء وأروعه : (البحر الطويل)

أعينيَّ هلاَّ تبكيان على صخرِ ... بدمعٍ حثيثٍ لا بكيءٍ ولا نزرِ ([198])
وتستفرغانِ الدَّمع أو تذريانِه ... على ذي النَّدى والجود والسّيِّد الغَمْرِ ([199])
فما لكما عن ذي يمينيْن فابكيا ... عليه مع الباكي المسلِّب من صبر
كأنْ لم يقلْ أهلاً لطالبِ حاجةٍ ... وكان بليجَ الوجه منشـــرحَ الصِّدر ([200])
ولم يغدُ في خيلٍ مجنّبةِ القنا ... ليرويَ أطرافَ الرُّدَيْنيةِ السُّمْر ([201])
فشأن المنايا إذْ أصابك رَيْبُها ... لتغدو على الفتيانِ بعدك أو تســري
فمن يضمنُ المعروفَ في صُلب مالِه ... ضمانَك أو يَقري الضَّيوف كما تقري ([202])

ومبثوثةٍ مثلُ الجرادِ وزعتُها ... لها زَجَلٌ يملا القلوبَ منَ الذُّعْرِ ([203])
صبحتُهمُ بالخيلِ تردي كأنّها ... جراد زفته ريحُ نجدٍ إلى البحرِ ([204])
وكائنْ قرنتَ الحقَّ مِن ثوبِ صَفْوةٍ ... ومِن سابحٍ طِرفٍ ومِن كاعبٍ بكرِ ([205])
وقائلةٍ والنُّعش قد فاتَ خطوَها ... لِتدركَه يا لَهفَ نفســي على صخرِ
ألا ثكلتْ أمُّ الذين مَشَوْا به ... إلى القبرِ ماذا يحملون إلى القبر؟ ([206])
وماذا يُواري القبرُ تحتَ ترابِه ... منَ الخيرِ يا بؤسَ الحوادثِ والدِّهر ([207])
وم الحزم في العزّاء والجود والنّدى ... غداة يرى حلفَ اليسارة والعســر ([208])
لقدَ كانَ فَي كلِّ الأمورِ مهذَّباً ... جليلَ الأيادي لا يُنهنَهُ بالزِّجر ([209])
وإنْ تلقه في الشَّــربِ لا تلقَ فاحشاً ... ولا ناكثاً عقدَ السِّــرائر والصِّبر ([210])
فلا يُبعدنْ قبرٌ تضمَّن شخصَهُ ... وجاد عليه كلُّ واكفةِ القطرِ ([211])

أصبحت لا تُحلي ولا تُمري

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (البحر الكامل)

يا صخرُ مَنْ لحوادثِ الدِّهر أم مَنْ يُسهُّل راكبَ الوعرِ
كنتَ المفرَّج ما ينوبُ فقد أصبحتَ لا تَحلي ولا تُمري

يُجثى التُّراب على محاسنِه وعلى غضارةِ وجههِ النِّضــر ([212])

لا يأتلي في جوده يجري

وللخنساء تفخر وتحرّض القوم على من قتل أخاها : (البحر الكامل)

أبني سُليم إنْ لقيتمْ فقعساً ... في محبسٍ ضنكٍ إلى وعرِ ([213])
فَالْقوهم بسَيوفِكم ورماحِكمْ ... وبنضخةٍ في اللّيل كالقَطرِ ([214])
حتّى تفضُّوا جمعهمْ وتذكّروا ... صخراً ومصــرعَه بلا ثأرِ ([215])
وفوارساً منّا هنالك قتّلوا ... في عثرةٍ كانت منَ الدّهر
لاقى ربيعةَ في الوغى فأصابه ... طعنٌ بجائفةٍ إلى الصّدر ([216])
بمقوَّم لَدْنِ الكُعوبِ سنانُه ... ذربُ الشّباة كقادم النّســر ([217])
ونجا ربيعةُ يوم ذلك مرهقاً ... لا يأتلي في جودِهَ يجري
فاتت به أسلَ الأسنّة ضامرٌ ... مثلُ العقابِ غدتْ مع الوكرِ
ولقد أخذنا خالداً فأجاره ... عوفٌ وأطلقه على قدرِ
ولقد تدارك رأينا في خالد ... ما ساء خيلاً آخرَ الدّهر

فلنعم ربِّ النار والقدر

وقالت للخنساء في رثاء صخر : (البحر الكامل)

طرقَ النَّعيُّ على صفينةَ غدوةً ... ونعى المعمَّم مِن بني عَمرِو ([218])
حامي الحقيقة والمجير إذا ... ما خيف حدُّ نوائبِ الدّهر ([219])
الحيُّ يعلمُ أنَّ جفنتَهُ ... تغدو غداةَ الرِّيح أو تســري ([220])
فإذا أضاءَ وجاش مرجلُه ... فَلَنعْمَ ربُّ النَّارِ والقِدرِ ([221])
أبلغْ مواليهُ فقد رُزئوا ... مولًى يريشهمُ ولا يشــري ([222])
يكفي حُماتَهمُ ويُعطيهم ... مئة من العشــرين والعشــر
تروي سنانَ الرِّمح طعنتُه ... والخيلُ قد خاضت دماً يجري
قد كان مأوى كلِّ أرملةٍ ... ومُقيلَ عثرةِ كلِّ ذي عُذرِ
تلقى عيالَهم نوافلُه ... فتصيبُ ذا الميسورِ والعُســْرِ ([223])

إن كنتِ عن وجدك لم تقصري

وللخنساء مفتخرة ومحرّضة : (البحر السريع)

إن كنتِ عن وجدكِ لم تقصـــري أو كنتِ في الأسوةِ لم تعذري ([224])
فإنّ في العقدة مِن يلبنِ عبرَ السُّـــرى في القُلَّص الضُّمَّرِ ([225])

وصاحبٍ قلتُ له خائفٍ إنّك للخيل بمستنظرِ
إنّك داعٍ بكبيرٍ إذا وافيتَ أعلى مرقبٍ فانظرِ
فآنسنْ مِنْ ساعةٍ فارساً يخبُّ أدنى بقَعِ المنظرِ ([226])
فأولج السَّوط على حوشبٍ أجردَ مثلَ الصَّدِّع الأعفرِ
تنبطه السُّاق بشدٍّ كما مال هجيرُ الرِّجل الأعســـرِ

قمران في النادي ...

وللخنساء في أخويها صخر ومعاوية : (البحر الكامل)

أسدان محمرِّا المخالب نجدةً بحرانِ في الزمن الغضوبِ الأنمرِ
قمرانِ في النِّادي رفيعا محتدٍ في المجدِ فرعا سُؤدد متخيَّـــرِ

كأنّه علم في رأسه نار

ومن روائع شعر الخنساء رائعتها في رثاء أخيها صخر، وفيها تقول : (البحر البسيط)

قذًى بعينكَ أم بالعينِ عُوّار ... أم ذرَّفتْ إذ خلتْ مِن أهلِها الدُّار ([227])
كأنّ عيني لذكراه إذا خطرت ... فيضٌ يسيلُ على الخدّيْنِ مدرارُ ([228])
تبكي لِصخرٍ هي العَبرى وقد ولهتْ ... ودونَهُ مِن جديدِ التِّرب أستارُ ([229])
تبكي خناسُ فما تنفكُّ ما عمرت ... لها عليه رنينٌ وَهْي مِفتارُ ([230])
تبكي خناسُ على صخرٍ وحُقَّ لها ... إذْ رابها الدَّهر إنَّ الدَّهر ضرَّار
لابُدَّ مِن ميتةٍ في صرفِها عِبَرٌ ... والدهرُ في صرفِه حولٌ وأطوارُ
قد كان فيكم أبو عمرو يسودكُمُ ... نعمَ المعمَّمُ لِلدَّاعين نصَّار

ج

صلبُ النخيرةِ رهَّاب إذا مَنعوا ... وفي الحروبِ جريءُ الصِّدر مِهْصارُ ([231])
يا صخرُ وارد ماءٍ قد تناذره ... أهلُ الموارِدِ ما في وِردِه عارُ ([232])
مشى السَّبَنْتى إلى هيجاءَ معضلةٍ ... له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ ([233])
وما عجولٌ على بَوٍّ تطيفُ بهِ ... لها حنينانِ إعلانٌ وإسرارُ ([234])
ترتعُ ما رتعت حتى إذا ادَّكرتْ ... فإنَّما هي إقبال وإدبارُ
لا تسمن الدَّهر في أرض وإن رتعت ... فإنَّما هي تحنان وتسجار ([235])
يوماً بأوجدَ منّي يوم فارقني ... صخرٌ وللدِّهر إحلاءٌ وإمرارُ
وإنَّ صخراً لوالينا وسيِّدنا ... وإنَّ صخراً إذا نشتو لَنَحَّار ([236])
وإنَّ صخراً لمِقدامٌ إذا ركبوا ... وإنَّ صخراً إذا جاعوا لَعَقَّار ([237])
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به ... كأنَّه علم في رأسه نارُ ([238])
جَلْدٌ جميلُ المحيَّا كامل ورِعٌ ... وللحروبِ غداة الرّوْعِ مِسعارُ ([239])
حمَّال ألويةٍ هبَّاط أوديةٍ ... شهَّاد أنديةٍ لِلجيشِ جرَّار
فقلتُ لمَّا رأيت الدَّهر ليس له ... معاتِبٌ وحدَه يُسدي ونيَّار
لقد نعى ابْنُ نهيكٍ لي أخا ثقةٍ ... كانت ترجُّم عنه قبلُ أخبارُ ([240])

فبتُّ ساهرةً لِلنَّجم أرقبه ... حتَّى أتى دون غورِ النِّجم أستارُ
لم تَرَهُ جارةٌ يمشـــي بساحتِها ... لِريبةٍ حينَ يُخلي بيتَه الجارُ
ولا تراه وما في البيت يأكلُه ... لكنه بارزٌ بالصّحن مهمارُ ([241])
ومطعمُ القومِ شحماً عندَ مسغبهِم ... وفي الجدوب كريمُ الجدِّ ميسارُ ([242])

قد كان خالصتي مِن كل ذي نسبٍ ... فقد أصيبَ فما للعيشِ أوطارُ
مثل الرُّدَينيّ لم تنفدْ شبيبتُه ... كأنَّه تحت طيِّ البُردِ أسوارُ ([243])
جهمُ المحيَّا تضـــيءُ اللَّيل صورتُه ... آباؤُه مِن طوالِ السِّمك أحرارُ
مورَّث المجد ميمونٌ نقيبتُه ... ضخمُ الدِّسيعة في العزِّاء مغوارُ
فَرْعٌ لفرعٍ كريم غيرُ مؤتشبٍ ... جلدُ المريرةِ عندَ الجمع فخَّار ([244])
في جوفِ لحدٍ مَقيمٌ قد تضمّنه ... في رمسِه مقمطرٌّات وأَحجارُ ([245])
طَلْقُ اليديْنِ لِفعلِ الخيرِ ذو فَجَر ... ضخمُ الدسيعةِ بالخيراتِ أمَّار
لِيبكهِ مقترٌ أفنى حريبتَه ... دَهْرٌ وحالفَهُ بؤسٌ وإقتارُ
ورفقةٍ حار حاديهم بمهلِكةٍ ... كأنَّ ظلمتها في الطِّخيةِ القَارُ ([246])
لا يمنع القوم إن سالوه خلعته ... ولا يجاوزه بالليل مُرَّار

أرعى النجوم وما كلّفت رعيتها

وللخنساء في رثاء صخر، قولها : (البحر البسيط)

يا عينُ فيضـــي بدمعٍ منكِ مغزارِ ... وابكي لصخرٍ بدمعٍ منكِ مدرارِ ([247])

إنِّي أرقت فبتُّ اللَّيل ساهرةً ... كأنّما كحلتْ عيني بعُوّارِ ([248])
أرعى النَّجوم وما كُلِّفت رِعيتَها ... وتارةً أتغشَّى فضل أطماري ([249])
وقد سمعتُ فلم أبهجْ به خبراً ... مخبَّراً قام ينمي رجع أخبارِ ([250])
قال ابنُ أمِّكِ ثاوٍ بالضِّـــريح وقد ... سَوَّوْا عليه بألواحٍ وأحجارِ
فاذهبْ فلا يُبعدنَّكَ اللهُ مِن رجلٍ ... منّاعِ ضَيْمٍ وطلاّبٍ بأوتارِ
قد كنتَ تحملُ قلباً غيرَ مهتضمٍ ... مركّباً في نصاب غيرِ خوّارِ
مثل السِّنان تضـــيءُ اللَّيل صورَتُه ... جلدُ المريرةِ حُرٌّ وابنُ أحرارِ ([251])
أبكي فتى الحيّ نالته منيَّتُه ... وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدارِ
وسوفَ أبكيكَ ما ناحت مطوَّقةٌ ... وما أضاءت نجومُ اللّيل للسّاري ([252])
ولا أسالمُ قوماً كنتَ حربَهُمُ ... حتَّى تعود بياضاً جُؤنةُ القارِ ([253])
أبلغْ سُليماً وعوفاً إنْ لقيتهمُ ... عميمةً مِن نداءٍ غيرِ إسرارِ ([254])
أعني الذين إليهم كان منزلُه ... هل تعرفون ذِمامَ الضيفِ والجارِ
لو منكمُ كان فينا لم ينل أبداً ... حتى تُلاقَى أمور ذات آثارِ
كان ابنَ عمَّتكم حقّاً وضيفكُمُ ... فيكم فلم تدفعوا عنه بإخفارِ ([255])
شُدّوا المآزر حتّى يستدفَّ لكم ... وشمِّروا إنّها أيُّام تشمارِ ([256])
وَابكوا فتى البأسِ وافته منيَّتُه ... في كلِّ نائبةٍ نابتْ وأقدارِ
لا نومَ حتى تقودوا الخيل عابسةً ... ينبذْنَ طرحاً بمهراتٍ وأمهارِ

أو تحفروا حفرةً فالموتُ مكتنعٌ ... عندَ البيوتِ حصيناً وابنَ سيّارِ ([257])
أو ترحضوا عنكمُ عاراً تجلَّلَكم ... رحضَ العواركِ حيضاً عند أطهارِ ([258])
والحربُ قد ركبت حدباءَ نافرةً ... حلّت على طبق مِن ظهرِها عارِ
كأنَّهم يوم راموه بأجمعهم ... راموا الشَّكيمة مِن ذي لِبدةٍ ضارِ ([259])
حامي العرينِ لدى الهيجاءِ مضطلعٌ ... يَغري الرِّجال بأنيابٍ وأظفارِ ([260])
حتّى تفرّجت الآلافُ عن رجلٍ ... ماضٍ على الهولِ هادٍ غيرِ محيارِ
تجيشُ منه فُويقَ الثّدي جائفةٌ ... بمزبدٍ من نجيعِ الجوفِ فوّارِ ([261])

فكلّ حيٍّ صائر للبلى

وقالت الخنساء راثية أخاها : (البحر السريع)

يا عينُ جودي بالدِّموع الغزارْ ... وَابْكي على أروعَ حامي الذّمارْ ([262])
فرعٍ منَ القوم كريم الجدى ... أنماه منهم كلُّ محضِ النِّجارْ ([263])
أقولُ لمَّا جاءنَي هلكَه ... وصرَّح النُّاس بنجوى السّرارْ ([264])
أخَيَّ إمَّا تكُ ودّعْتَنا ... وحال مِن دونِكَ بعْدُ المزارْ
فَرُبَّ عرفٍ كنتَ أسديتَه ... إلى عيالٍ ويتامى صغارْ

ورُبَّ نُعمى منكَ أنعمتها ... على عُناةٍ غُلَّقٍ في الإسارْ ([265])
أهلي فداءٌ لِلّذي غودرت ... أعظمُه تلمعُ بينَ الخبارْ ([266])
صريع أرماحٍ ومشحوذةٍ ... كالبرقِ يلمعْنَ خلالَ الدّيارْ
مَن كان يوماً باكياً سيّداً ... فَلْيبكهِ بالعبراتِ الحرارْ
وَلْتبكهِ الخيلُ إذا غودِرت ... بساحةِ الموتِ غداةَ العثارْ ([267])
وليبكهِ كلُّ أخي كربةٍ ... ضاقت عليه ساحةُ المستجارْ ([268])
ربيعُ هُلاَّك ومأوى ندى ... حينَ يخافُ النُّاس قحطَ القُطارْ ([269])
أسقى بلاداً ضُمّنتْ قبرهُ ... صوبُ مرابيعِ الغيوثِ السّوارْ ([270])
وما سؤالي ذاك إلاَّ لكيْ ... يسقاه هامٌ بالرّوي في القفارْ ([271])
قلْ للّذي أضحى به شامتاً ... إنَّك والموت معاً في شعارْ ([272])
هوَّن وجدي أنَّ مَن سرَّهُ ... مصــرعُه لاحقُه لا تُمارْ ([273])
وإنَّما بينهما روحة ... في إثرِ غادٍ سارَ حدَّ النّهارْ
يا ضاربَ الفارسِ يومَ الوغى ... بالسّيف في الحومةِ ذاتِ الأوارْ ([274])
يردي به في نقعِها سابحٌ ... أجردُ كالسِّــرحان ثبتُ الحضارْ ([275])

نازلتَ أبطالاً لها ذادةٌ ... حتى ثَنَوْا عن حُرماتِ الذّمارْ ([276])
حلفتُ بالبيتِ وزوّاره ... إذ يُعملون العيسَ نحو الجمارْ ([277])
لا أجزعُ الدَّهر على هالكٍ ... بعدَكَ ما حنّتْ هوادي العشارْ ([278])
يا لوعةً بانت تباريحُها ... تقدحُ في قلبي شجاً كالشّــرارْ ([279])
أبدى لِيَ الجفوةَ من بعده ... مَن كان مِن ذي رَحِم أو جوارْ
إنْ يَكُ هذا الدُّهر أودى به ... وصار مسحاً لمجاريَ القطارْ
فكلُّ حيٍّ صائرٌ لِلبلى

وكلَ حبلٍ مرَّة لاندثارْ

كالبدر يجلو ولا يخفى على السّاري

وللخنساء راثية أخاها : (البحر البسيط)

يا عينُ جودي بدمع منكِ مدرارِ ... جهد العويلِ كماءِ الجدولِ الجاري
وابكي أخاكِ ولا تنسَـــي شمائلَه ... وابكي أخاكِ شجاعاً غيرَ خوّار ([280])
وابكي أخاكِ لأيتام وأرملةٍ ... وابكي أخاك لحقِّ الضّيف والجارِ
جمٌّ فواضلُه تَندى أنامِلُه ... كالبدرِ يجلو ولا يخفى على السّاري
ردُّاد عاريةٍ فكُّاك عانيةٍ ... كضيغم باسلٍ للقِرنِ هصّار ([281])
جوّاب أوديةٍ حمّال ألويةٍ ... سمحُ اليَديْنِ جوادٌ غيرُ مقتارِ
نحّار راغيةٍ ملجى لِطاغيةٍ ... فكّاكُ عانيةٍ للعظمِ جبّار ([282])

والآن صرت تتاح بالأشعار

وقالت في أخيها صخر راثيةً : (البحر الكامل)

يا صخرُ بعدكَ هاجني استعباري شانيكَ باتَ بذلّةٍ وصغارِ ([283])
كنّا نعدُّ لك المدائحَ مدَّةً والآنَ صرتَ تُتاحُ بالأشعارِ

يعطي الجزيل على عسر وميسور

وقالت ترثي أخاها صخراً : (البحر البسيط)

عينيَّ جودا بدمع غيرِ منزورِ وأعولا إنَّ صخراً خيرُ مقبورِ ([284])
لا تخذلاني فإنُّي غير ناسيةٍ لذكرِ صخرٍ حليف المجدِ والخيرِ ([285])
يا صخرُ مَن لِطرادِ الخيلِ إذ وُزعت وللمطايا إذا يُشددْن بالكورِ ([286])
ولليتامى وللأضيافِ إنْ طرقوا أبياتَنا لفعالٍ منكِ مخبورِ ([287])
وَمَن لكربةِ عانٍ في الوثاقِ ومن يعطي الجزيلَ على عســـرٍ وميسورِ
ومَن لطعنةِ حلسٍ أو لهاتفةٍ يومَ الصِّباح بفرسانٍ مغاويرِ ([288])
فرّ الأقاربُ عنها بعدما ضربوا بالمشـــرفيِّة ضرباً غيرَ تعزيرِ ([289])
وأسلمت بعدَ نقفِ البيضِ واعتسفت مِن بعدِ لذِّة عيشٍ غيرِ مقتورِ ([290])
يا صخرُ كنتَ لنا عيشاً نعيشُ به لو أمهلتك مُلمُّات المقاديرِ

يا فارس الخيلِ إنْ شدّوا فلم يهنوا وفارسَ القوم إنْ همّوا بتقصيرِ
يا لهفَ نفســـي على صخرٍ إذا ركبت خيلٌ لخيلٍ كأمثالِ اليعافيرِ ([291])
وألقحَ القومُ حرباً ليسَ يلقحُها إلا المساعيرُ أبناءُ المساعيرِ ([292])
يا صخرُ ماذا يُواري القبرُ مِن كَرَمٍ ومِن خلائقِ عفٍّات مطاهيرِ ([293])

ففي فؤاديَ صدع غير مجبور

ولها أيضاً في أخيها من رثاء : (البحر البسيط)

يا عينُ جودي بدمع غير منزورِ ... مثل الجمانِ على الخدّيْنِ محدورِ ([294])
وابكي أخاً كان محمَوداً شمائلُه ... مثلَ الهلال منيراً غيرَ مغمورِ ([295])
وفارسَ الخيلِ وافته منيُّته ... ففي فؤاديَ صدعٌ غيرُ مجبورِ ([296])
كنتَ الفتى كنتَ إذْ حنَّت مرفرفة ... هوجُ الرِّياح حنينَ الوُلَّه الحورِ ([297])
والخيلُ تعثرُ بالأبطالِ عابسةً ... مثلَ السِّــراحين مِن كابٍ ومعقورِ ([298])

يجود ويحلو حين يُطلب خيره

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (البحر الطويل)

كأنَّ ابْنَ عمرٍو لم يصبَّحْ لغارة بخيلٍ ولم يُعملْ نجائبَ صُخَّرا ([299])
ولم يجز إخوانَ الصِّفاء ويكتسي عجاجاً أثارته السُّنابك أكدرا ([300])

ولم يبنِ في حرِّ الهواجر مرَّة لفتيتِه ظلاًّ رداءً محبّرا
فبكِّوا على صخر بن عمرو فإنّه يسيرُ إذا ما الدُّهر بالنِّاس أعسرا ([301])
يجودُ ويحلو حينَ يُطلبُ خيرُه ومرَّاً إذا يبغي المرارة مقمرا
فخنساءُ تبكي في الظّلامِ حزينةً وتدعو أخاها لا يجيبُ معفّرا

وينعصر الماء منه انعصارا

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (البحر المتقارب)

ذكرتُ أخي بعدَ نوم الخليِّ ... فانحدرَ الدُّمع منّي انحدارا
وخيل لبستَ لأبطالِهَا ... شليلاً ودمّرت قوماً دمارا ([302])
تَصَيَّدُ بالرِّمح ريعانَها ... وتهتصـــرُ الكبشَ منها اهتصارا
فألحمتَها القومَ تحتَ الوغى ... وأرسلتَ مهرَكَ فيها فغارا
يقيني وتحسبُه قافلاً ... إذا طابقت وغشينَ الحرارا ([303])
فذلك في الجدِّ مكروهُه ... وفي السُّلم تلهو وترخي الإزارا
وهاجرةٍ حرُّها صاخدٌ ... جعلت رداءَكَ فيها خمارا ([304])
لتدركَ شأواً على قربِه ... وتكسبَ حمداً وتحمي الذّمارا
وتروي السَّنان وتُردي الكميَّ ... كمرجلِ طبَّاخة حينَ فارا ([305])
وتُغشـــي الخيولَ حياضَ النِّجيع ... وتُعطي الجزيلَ وتُردي العشارا ([306])
كأنَّ القتود إذا شدَّها ... على ذي وسومٍ تُباري صُوارا ([307])

تمكَّن في دفء أرطائِهِ ... أهاجَ العشـــيَّ عليه فثارا ([308])
فدار فلمَّا رأى سربها ... أحسّ قنيصاً قريباً فطارا
يشقّق سربالَه هاجراً ... من الشّدّ لما أجدّ الفرارا
فبات يقنُّص أبطالَها ... وينعصـــرُ الماءُ منه انعصارا

إذا الحرب هرّت واستمرّت مريرها

وفي صخر قالت الخنساء راثية : (البحر الطويل)

ألا ابْكي على صخرٍ وصخرٌ ثمالُنا
أقامَ جناحيْ ربعِها وترافدوا
ببارقةٍ للموتِ فيها عجاجةٌ
أهلّ بها وكفُ الدِّماء ورعدُها
فصخرٌ لديها مِدْرَهُ الحربِ كلِّها
من الهضبةِ العليا التي ليس كالصّفا
لها شرفاتٌ لا تُنالُ ومنكبٌ
له بسطتا مجدٍ فكفٌّ مفيدة
من الحربِ ربِّته فليس بسائم
إذا ما اقمطرّت للمغار وأيقنت

إذا الحربُ هرَّتْ واستمرَّتْ مريرُها ([309])
على صعبها حتُّى استقام عسيرها
مناكبُها مسحومةٌ ونحورُها ([310])
هماهمُ أبطالٍ قليلٌ فتورُها ([311])
وصخرٌ إذا خانَ الرُّجال يطيرُها ([312])
صفاها وما إنْ كالصِّخور صخورُها ([313])
منيعُ الذِّرى عال على مَن يثيرُها
وأخرى بأطرافِ القناةِ شقورُها
إذا ملَّ عنها ذات يوم ضجورُها
به عن حيالٍ ملقحٍ مَنَ يبورُها ([314])

ونتّخذ الحمد ذخراً وكنزا

ومن شعر الفخر والحماسة، تقول الخنساء : (البحر المتقارب)

تَعَرَّقَني الدُّهر نهساً وحزّا وأوجعني الدُّهر قرعاً وغمزا ([315])
وأفنى رجالي فبادوا معاً فغودر قلبي بهم مستفزّا
كأنْ لم يكونوا حمًى يُتّقى إذ النُّاس إذْ ذاك مَن عزّ بزّا
وكانوا سَراةَ بني مالكٍ وزينَ العشيرةِ بذلاً وغزّا ([316])
وهم في القديم أساةُ العديم والكائنون من الخوفِ حرزا ([317])
وهم منعوا جارَهم والنُّساء يحفز أحشاءَها الخوفُ حفزا
غداةَ لقَوْهم بملمومةٍ رداحٍ تغادرُ في الأرضِ ركزا ([318])
ببيضِ الصِّفاح وسُمْرِ الرِّماح فبالبيضِ ضرباً وبالسُّمْر وخزا ([319])
وخيلٍ تكدَّسُ بالدّارعين وتحت العجاجةِ يجمزْنَ جمزا ([320])

جززْنا نواصيَ فرسانِها وكانوا يظنّون ألّا لا تُجَزَّا ([321])
ومَن ظنَّ ممّن يلاقي الحروبَ بألَّا يصاب فقد ظنَّ عجزا
نعفُّ ونعرفُ حق القرى ونتُّخذ الحمدَ ذخراً وكنزا
ونلبسُ في الحربِ نسجَ الحديدِ ونسحبُ في السِّلم خزّاً وقزّا ([322])

* * *

فصل الخطاب إذا التبس

وللخنساء في صخر، أخيها، ترثيه : (مجزوء الكامل)

يا عينُ اِبكي فارساً حسنَ الطِّعان على فرسْ
ذا مِرِّة ومهابةٍ بينا نؤمُّله اختُلسْ ([323])
بينا نراه بادياً يحمي كتيبته شرسْ ([324])
كاللّيث خَفَّ لِغيلهِ يحمي فريستَه شكسْ
يذرُ الكميَّ مجدّلاً تربَ المناخِر منقعسْ ([325])
خضبَ السِّنان بطعنةٍ فالنُّفس يحفزُها النَّفَسْ
فالطُّير بينَ مراودٍ يدنو وآخرَ منتهسْ
نِعمِ الفتى عندَ الوغى حينِ التصايحُ في الغلسْ ([326])
فَلأَبكينَّك سيّداً فصلَ الخطاب إذا التبسْ
مَن ذا يقومُ مقامَه بعدَ ابْنِ أمِّي إذ رمِسْ ([327])
أو من يعودُ بحلمهِ عندَ التنازعِ في الشّكسْ

غيثُ العشيرة كُلِّها الغائرين ومَن جلسْ

أيصبح في الضُّريح وفيه يمسي؟

وللخنساء في صخر : (البحر الوافر)

يؤرِّقني التذكُّر حينَ أمســـي ... فأصبحُ قد بليتُ بفرطِ نكسِ ([328])
على صخرٍ وأيُّ فتىً كصخرٍ ... لِيومِ كريهةٍ وطعانِ حِلس ([329])
وللخصمِ الألدِّ إذا تعدّى ... ليأخَذَ حقَّ مظلومٍ بقَنْسِ ([330])
فلم أرَ مَثله رزءاً لِجنٍّ ... ولم أرِ مثله رزءًاً لأنس
أشدَّ على صروفِ الدّهر أيداً ... وأفصلَ في الخطوبِ بغيرِ لبسِ ([331])
وضيفٍ طارقٍ أو مستجيرٍ ... يروُّع قلبه مِن كلِّ جرسِ
فأكرمَه وآمنَه فأمسى ... خليُّاً باله مِن كلِّ بؤسِ
يذكِّرني طلوع الشّمس صخراً ... وأذكره لكلِّ غروب شمسِ
ولولا كثرةُ الباكينَ حولي ... على إخوانِهم لقتلتُ نَفْســـي
ولكنْ لا أزالُ أرى عجولاً ... وباكيةً تنوحُ ليومِ نحسِ ([332])
أراها والهاً تبكي أخاها ... عشيَّة رزئِه أو غِبَّ أمسِ
وما يبكون مثلَ أخي ولكنْ ... أُعَزِّي النفسَ عنه بالتأسّي
فلا والله لا أنساكَ حتّى ... أفارقَ مهجتي ويُشقَّ رمســـي
فقد ودَّعت يومَ فراقِ صخرٍ ... أبي حسَّان لذّاتي وأنســـي
فيالهفي عليه، ولهفَ أُمِّي ... أيصبحُ في الضِّـــريح وفيه يُمســـي؟

ما للمنايا تغادينا وتطرقنا

وللخنساء في رثاء أخيها قولها : (البحر البسيط)

بني سُليم ألا تبكونَ فارسَكم ... خلَّى عليكم أموراً ذات أمراسِ ([333])
ما للمنايا تُغادينا وتطرقُنا ... كأنّنا أبداً نحتزُّ بالفاسِ ([334])
تغدو علينا فتأبى أنْ تزايلنَا ... للخيرِ فالخيرُ منُّا رهن أرماسِ ([335])
ولا يزالُ حديث السّنّ مقتبلاً ... وفارساً لا يُرى مثل له راسِ
منّا يغافصْنَه لو كانَ يمنعُه ... بأسٌ لصادفَنا حيّاً أولي باس

ولكن يفسد الناس ...

وللخنساء قولها الذي فضلت به جريراً، وذلك باعترافه هو وإقراره : (البحر البسيط)

إنَّ الزمانَ وما يفنى له عجبٌ ... أبقى لنا ذنباً واستُؤصلَ الراسُ
أبقى لنا كلَّ مجهولٍ وفجَّعنَا ... بالحالمين فهم هامٌ وأرماسُ ([336])
إنَّ الجديدَيْن في طولِ اختلافِهما ... لا يفسدان ولكنْ يفسد الناسُ ([337])

* * *

... ولكن يفسد الناس

أفرّج همّ صدري بالقريض

ومن رثاء الخنساء في أخيها صخر، قولها : (البحر الوافر)

ألا يا عينُ ويحكِ أسعديني ... لريبِ الدِّهر والزِّمن العضوضِ
ولا تُبقي دموعاً بعدَ صخرٍ ... فقد كُلِّفت دهرَكِ أنْ تفيضـــي
ففيضـــي بالدِّموع على كريمٍ ... رمتْهُ الحادثاتُ ولا تغيضـــي ([338])
فقد أصبحتُ بعدَ فتى سُليمٍ ... أفرُّج همَّ صدري بالقريضِ ([339])
أسائلُ كلَّ والهةٍ هبولٍ ... بَراها الدُّهر كالعظمِ المهيضِ ([340])
وأصبح لا أعدَّ صحيح جسمٍ ... ولا دَنِفاً أمرِّض كالمَريض ([341])
ولكنِّي أبيت لذكرِ صخرٍ ... أغضُّ بسلسلِ الماءِ الغضيضِ
وأذكره إذا ما الأَرضُ أَمست ... هجولاً لم تلمّعْ بالوميضِ ([342])
فَمَنْ للحربِ إذ صارت كلوحاً ... وشمَّر مشعلوها للنِّهوضِ
وخيلٍ قد دلفتُ لها بأخرى ... كأنَّ زهاءَها سندُ الحضيضِ

إذا ما القومُ أحربهم تبولٌ ... كذاك التُّبل يطلبُ كالقروضِ ([343])
بكلِّ مهنَّدٍ عَضبٍ حسامٍ ... رقيقِ الحدِّ مصقولٍ رحيضِ ([344])

* * *

وليس لمن قد غاله الدهر مرجع

قالت الخنساء ترثي صخراً : (البحر الطويل)

تذكُّرت صخراً إذْ تغنَّت حمامة ... هتوفٌ على غصنٍ من الأيكِ تسجُع ([345])
فظلْتُ لها أبكي بدمع حزينةً ... وقلبيَ ممّا ذكَّرتني موجُّع
تُذكّرني صخراً وقدً حال دونه ... صفيحٌ وأحجارٌ وبيداءُ بلقعُ ([346])
أرى الدَّهر يرمي ما تطيشُ سهامُه ... وليس لِمنْ قد غاله الدُّهر مرجعُ ([347])
فإنْ كانَ صخرُ الجود أصبحَ ثاوياً ... فقد كانَ في الدّنيا يضـــرُّ وينفعُ

أكلّ الوزوعِ بنا توزعُ؟

وفيه تقول راثية : (البحر المتقارب)

أبى طولُ ليلي فلا أهجعُ ... وقد عالني الخبرُ الأشنعُ ([348])
نعيُّ ابنِ عمرٍو أتى موهناً ... قتيلاً فمالي لا أجزعُ
وفجُّعني ريبُ هذا الزِّمان ... به والمصائبُ قد تُفجِعُ

فمثلُ حبيبيَ أبكى العيونَ ... وأوجعَ مَن كان لا يوجعُ
أخٌ ليَ لا يشتكيه الرُّفيق ... ولا الرُّكب في الحاجةِ الجُوَّعُ
ويهتزُّ في الحربِ عندَ النِّزال ... كما اهتزَّ ذو الرِّونق الــمِقْطَعُ
فمالي وللدِّهر ذي النَّائبات ... أكلُّ الوزوعِ بنا توزعُ؟ !([349])

كذاك لكلّ فتى مصرع

وللخنساء في صخر من رثاء : (البحر المتقارب)

ألا ما لعينيْكَ لا تهجعُ ... تُبكّي لو انَّ البكا ينفعُ
كأنَّ جماناً هوى مرسلاً ... دموعَهما أو هما أسرعُ ([350])
تحدّر وانبتَّ منه النظامُ ... فانسلَّ من سِلْكِهِ أجمعُ
فبكِّي لصخر ولا تندبي ... سواه فإنَّ الفتى مِصقعُ ([351])
مضـــى وسنمضـــي على إثره ... كذاك لكلِّ فتًى مصـــرعُ
هو الفارسُ المستعدُّ الخطيبُ ... في القوم واليســرُ الوعوعُ ([352])
وعانٍ يحكُّ ظنابيبَه ... إذا جرَّ فَي القِدّ لا يدفعُ ([353])
دعاكَ فهتّكت أغلاله ... وقد ظنَّ قبلك لا تقطعُ
وجلْسٍ أمونٍ تسدّيتها ... ليطعمَها نفرٌ جُوَّعُ ([354])
فظلَّتَ تكوسُ على أكرعٍ ... ثلاثٍ وكان لها أربعُ
بمهو إذا أنت صوّبته ... كأنَّ العظام له خِروعُ

دعوت لها صخر الندى ...

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (البحر الطويل)

لقد صوَّت النّاعي بفقد أخي النّدى ... نداء لَعَمري لا أبالكَ يسمعُ ([355])
فقمت وقد كادت لروعةِ هُلكهِ ... وفزعتِه نفســـي منَ الحزنِ تتبعُ
إليه كأنّي حوبة وتخشّعاً ... أخو الخمر يسمو تارةً ثم يصـــرعُ
فمن لِقِرى الأضيافِ بعدكَ إنْ همُ ... قبالَك حلّوا ثم نادوْا فأسمعوا ([356])
كعهدكمُ إذْ أنتَ حيٌّ وإذْ همُ ... لديك منالات وريٌّ ومشبعُ
ومَن لمهمّ حلّ بالجار فادحٍ ... وأمرٍ وَهَى مِن صاحبٍ ليسَ يرقعُ
ومَن لجليسٍ مفحشٍ لجليسهِ ... عليهِ بجهلٍ جاهداً يتســـرُّع
وكنت إذا ما خفتَ إرداف عســـرةٍ ... أظلّ لها من خيفة أتقنُّع
دعوت لها صخر النُّدى فوجدته ... له موسرٌ ينفى به العســـر أجمعُ

فنعم السيّد الداعي

وفي رثاء صخر تقول الخنساء : (البحر البسيط)

يا أمَّ عمرو ألا تبكينَ مُعْولةً ... على أخيكِ وقد أعلى به النّاعي ([357])
فَابْكِي ولا تسأمي نوحاً مسلَّبة ... على أخيكِ رفيعِ الهمِّ والباع
فقد فُجعت بميمونٍ نقيبتُه ... جمِّ المخارجِ ضرّار ونفّاع ([358])
فمن لنا إنْ رُزئناهُ وفارقَنا ... بسيِّد من وراءِ القومِ دفّاع ([359])
قد كان سيّدنا الدّاعي عشيرته ... لا تبعدنِّ فنعمَ السيُّدَ الدّاعي

وجدّع منها كلّ أنف ومسمع

وتقول الخنساء في صخر : (البحر الطويل)

وأقسمتُ لا أنفكُّ أهدي قصيدةً لصخرٍ أخي المفضالِ في كلِّ مجمع
فدتكَ سُليمٌ كهلُها وغلامُها وجُدَّع منها كلُّ أنفٍ ومسمَعِ ([360])

* * *

وفي المزاحف ثبت غير وجّاف

تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر : (البحر البسيط)

يا عينُ بكِّي بدمع غيرِ إنزافِ ... وابكي لصخرٍ فلن يكفيكه كافِ
كوني كورقاءَ في أفنانِ غيلتِها ... أو صائح في فروعِ النّخل هتّاف ([361])
وابكي على عارضٍ بالودقِ محتفلٍ ... إذا تهاونت الأحسابُ رجّاف ([362])
ومُنزلِ الضّيف إنْ هبَّت مجلجلة ... ترمي بصمٍّ سريعِ الخسفِ رسّاف
أبي اليتامى إذا ما شتوةٌ نزلت ... وفي المزاحفِ ثبتٍ غيرِ وجّاف

يا لهف نفسي على صخر ...

ولها فيه أيضاً : (البحر البسيط)

يا لهفَ نفســـي على صخرٍ وقد لهفتْ وهل يردَّنَّ خبلَ القلبِ تلهيفي ([363])
ابكي إخاكِ إذا جاورتهم سحراً جودي عليه بدمعٍ غيرِ متروفِ
ابكي المهينَ تلادَ المالِ إنْ نزلت شهباءُ ترزحُ بالقومِ المتاريفِ ([364])

وابكي أخاكِ لدهرٍ صارَ مؤتلفاً والدُّهر ويحكِ ذو فجعٍ وتجليفِ

كلّ يوم ينال منّا شريفا

وقالت في صخر ترثيه : (البحر الخفيف)

ما لِذا الموتِ لا يزالُ مخيفا ... كلَّ يوم ينالُ منّا شريفا
مولعاً بالسَّــراةِ منُّا فما يأخذ ... إلاَّ المهذَّب الغِطريفا ([365])
فَلَو انَّ المنونَ تعدلُ فينا ... فتنالُ الشَّــريف والمشــروفا
كان في الحقِّ أنْ يعودَ لنا ... الموتُ وألَّا نسومَه تسويفا ([366])
أيُّها الموتُ لو تجافيتَ عن ... صخرٍ لألفيتَه نقيَّاً عفيفا
عاش خمسين حجَّةً ينكرُ المنكرَ ... فينا ويبذلُ المعروفا
رحمةُ الله والسّلامُ عليهِ ... وسقى قبرَه الرَّبيع خريفا

مرهت عيني

وقالت فيه راثية أيضاً : (مجزوء الكامل)

مرهتْ عيني فعيني ... بعدَ صخرٍ عطِفَهْ ([367])
فدموعُ العينِ منّي ... فوق خدِّيَ وكفهْ ([368])
طرفت حندرُ عيني ... بعكيكٍ ذرِفَهْ ([369])
إنَّ نفســـي بعد صخرٍ ... بالرّدى معترفه
وبها مِن صخرَ شيءٌ ... ليس يُحكى بالصَّفه
وبنفســـي لِهموم ... فهي حرِّى أسفهْ
وبذكرى صخرَ نفســـي ... كلَّ يوم كلفَهْ
إنّ صخراً كان حصناً ... وربًى للنُّطَفَه
وغياثاً وربيعاً ... للعجوزِ الخرفَهْ
وإذا هبَّت شمال ... أو جنوبٌ عصِفَهْ
نحرَ الكومَ الصّفايا ... والبكارَ الخلفَه ([370])
يملأُ الجفنَةَ شحماً ... فتراها سدفَهْ
وترى الهلاَّك شبعى ... نحوَها مزدلفَهْ ([371])
وترى الأيديَ فيها ... دسماتٍ غدفَه
واردات صادراتٍ ... كقطا مختلفَهْ ([372])
كدبورٍ وشمالٍ ... في حياضٍ لقفَهْ ([373])
يتفرّقنَ شعوباً ... وله مؤتلفه
فلئن أجرع صخرٌ ... أصبحت لي ظلفَهْ
إنّها كانت زماناً ... روضةً مؤتنفَهْ

* * *

تعطي الجزيل بوجه منك مشراق

قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً : (البحر البسيط)

يا عينُ جودي بدمعٍ منكِ مهراقِ ... إذا هدى النّاس أو همّوا بإطراق ([374])
إنّي تذكّرني صخراً إذا سجعت ... على الغصونِ هتوفٌ ذاتُ أطواقِ ([375])
وكلُّ عبرى تبيت اللّيل ساهرةً ... تبكي بكاءَ حزينِ القلبِ مشتاقِ ([376])
لا تكذبنَّ فإنَّ الموت مخترِمٌ ... كلَّ البريِّة غيرَ الواحدِ الباقي ([377])
أنتَ الفتى الماجدُ الحامي حقيقته ... تُعطي الجزيل بوجهٍ منكَ مشــراقِ
والعودَ تعطي معاً والنَّاب مكتنفاً ... وكلَّ طِرفٍ إلى الغاياتِ سبّاق ([378])
إنّي سأبكي أبا حسَّان نادبة ... ما زلتُ في كلِّ إمساءٍ وإشراقِ

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل

ونسب إلى الخنساء شعرها التالي في صخر، ترثيه، وقيل هو لأم عمرو أخت ربيعة بن مكدّم الكناني الذي قتله بيشة بن حبيب السّلمي : (البحر البسيط)

ما بال عينك منها الدُّمع مهراقِ سحّاً فلا عازبٌ عنها ولا راقِ

أبكي على هالكٍ أودى فأورثني عندَ التفرّق حزناً حرُّه باقِ
لو كان يَشفي سقيماً وجهُ ذي رحِمٍ أبقى أخي سالماً وجدي وإشفاقي ([379])
لو كان يُفدى لكان الأهلُ كلُّهم وما أثمِّرُ مِن مالٍ وأوراقِ
لَكنْ سهامُ المنايا مَن تُصبْهُ بها لا يشفِه رفقُ ذي طبٍّ ولا راقِ
لأبكينّك ما ناحت مطوَّقة وما سريتُ مع السّاري على السِّاق
تبكي عليك بُكا ثكلى مفجِّعة ما إن يجفّ لها من ذكره ماقي
اذ هبْ فلا يُبعدنْكَ اللهُ مِن رجلٍ لاقى الذي كلُّ حيَّ بعده لاقي

هو الرّزء المبين ...

وللخنساء في رثاء أخويها صخر ومعاوية : (البحر الوافر)

هريقي مِنْ دموعكِ أو أفيقي ... وصبراً إنْ أطقتِ ولنْ تُطيقي ([380])
وقولي إنَّ خير بني سُلَيم ... وفارسَهم بصحراءِ العقيقِ ([381])
وإنِّي والبكا من بعدِ صخرٍ ... كسالكةٍ سوى قصدِ الطريق ([382])
فلا وأبيك ما سلّبت صدري ... بفاحشةٍ أتيت ولا عقوقِ
ولكنُّي وجدت الصَّبر خيراً ... منَ النّعليْنِ والرأسِ الحليقِ ([383])
ألا هل تَرجعنّ لنا اللّيالي ... وأيَّام لنا بلوى الشِّقيق
ألا يا لهفَ نفســـي بعدَ عيشٍ ... لنا بندى المختِّم والمضيقِ
وإذْ يتحاكمُ السَّادات طُرًّا ... إلى أبياتِنا وذوو الحقوقِ
وإذْ فينا فوارسُ كلِّ هيجا ... إذا فزعوا وفتيانُ الخروقِ ([384])
إذا ما الحربُ صلصل ناجذاها ... وفاجأها الكماةُ لدى البروقِ ([385])
وإذ فينا معاويةُ بنُ عمرٍو ... على أدماءَ كالجملِ الفنيقِ ([386])
فبكِّيه فقد ولّى حميداً ... أصيلَ الرَّأي محمود الصِّديق
هو الرُّزء المبينُ ولا كُباسٌ ... عظيمُ الرِّأي يحلمُ بالنّعيق

* * *

أمن حدث الأيَّام عينك تهمل

وفي رثاء أخيها صخر تقول الخنساء : (البحر الطويل)

أمِنْ حدثِ الأيُّام عينك تهملُ ... تُبكِّي على صخر وفي الدِّهر مذهلُ
ألا مَن لِعينٍ لا تجفُّ دموعُها ... إذا قلت أقذت تستهلُّ فتحفلُ ([387])
على ماجدٍ ضخمِ الدِّسيعة بارعٍ ... له سورةٌ في قومهِ ما تحوَّل ([388])
فما بلغت كفُّ امرئٍ متناولٍ ... منَ المجدِ إلاَّ حيث ما نلتَ أطولُ
ولا بلغَ المهدونَ في القولِ مِدْحةً ... ولا صدقوا إلاَّ الذي فيك أفضلُ
وما الغيثُ في جعدِ الثَّرى دمث الرُّبى ... تبعَّق فيه الوابلُ المتهلِّل ([389])
بأوسعَ سيباً مِن يديْكَ ونعمةٍ ... تعمُّ بها بل سيبُ كفُّيك أجزل ([390])
وجارُك محفوظٌ منيعٌ بنجوةٍ ... من الضِّيم لا يُؤذى ولا يتذلَّل ([391])
مِنَ القومِ مغشـــيّ الرِّواق كأنّه ... إذا سِيم ضيْماً خادرٌ متبسِّل ([392])
شَرَنْبَثُ أطرافِ البنانِ ضُبارمٌ ... له في عرين الغِيلِ عرسٌ وأشبُلُ ([393])

هِزَبْرٌ هِريتُ الشِّدق رئبالُ غابةٍ ... مخوفُ اللِّقاء جائبُ العينِ أنجلُ ([394])
أخو الجودِ معروفٌ له الجودُ والندى ... حليفانِ ما دامت تِعارُ ويذبلُ ([395])

يحامي عن الحي ...

وتقول الخنساء في رثاء أخيها : (البحر المتقارب)

أعينيَّ فيضـــي ولا تنجلي ... فإنّك للدِّمع لم تبذلي
وجودي بدمعِك واستعبري ... كسحِّ الخليجِ على الجدولِ
على خيرِ مَنْ يندبُ المعولونَ ... والسّيِّد الأيِّد الأفضلِ [396]
طويلُ النجادِ رفيعُ العمادِ ... ليس بوغدٍ ولا زمِّل [397]
يُجيدُ الكفاحَ غداةَ الصِّياح ... حامي الحقيقةِ لم ينكلِ [398]
كأنَّ العداة إذا ما بدا ... يخافون ورداً أبا أشبلِ [399]
مُدلاً منَ الأسْدِ ذا لِبدةٍ ... حمى الجزعَ منه فلم ينزلِ [400]
يعفُّ ويحمي إذا ما اعتزى ... إلى الشَّـــرفِ الباذخِ الأطولِ [401]
يُحامي عنِ الحيِّ يومَ الحفاظِ ... والجارِ والضِّيف والنُّزَّلِ
ومستنَّةٍ كاستنانِ الخليج ... فوارةِ الغمرِ كالمرجلِ

رموحٍ منَ الغيظِ رمحَ الشموسِ ... تلافيت في السِّلف الأول
لِتبكِ عليكَ عيالُ الشتاءِ ... إذا الشُّول لاذت منَ الشِّمأل [402]

دلّ على معروفه وجهه

وتقول راثية أخاها صخراً : (البحر السريع)

يا عينُ جودي بالدِّموع السُّجولْ ... وابكي على صخرٍ بدمعٍ همولْ ([403])
لا تخذليني عندَ جدِّ البكا ... فليتَ ذا يا عينُ وقتَ الخذولْ
ابكي أبا حسَّان واستعبري ... على الجميلِ المستضافِ النّحيلْ
نِعْمَ أخو الشّتْوةِ حلّتْ بهِ ... أرامِلُ الحيِّ غداة البليلْ
يأتينه مستعصماتٍ بهِ ... يُعلنَّ في الدّار بدعوى الأليلْ
ونِعْمَ جار القوم في أزمةٍ ... إذا التجا النُّاس بجارٍ ذليلْ
دلّ على معروفَه وجهُه ... بورك فيها هادياً فيً دليلْ
لا يقصـــرُ الفضلَ على نفسه ... بل عندَه من نابه في فضولْ ([404])
قد عرف الناسُ له أنّه ... بالمنزلِ الأتلعِ غيرِ الضئيلْ ([405])
عطاؤه جزلٌ وصولاتُه ... صولاتُ قَرْمٍ لقروم صؤولْ ([406])
ورأيُه حكمٌ وفي قولِه ... مواعظٌ يُذهبْنَ داءَ الغليلْ ([407])
ليس بخبٍّ مانعٍ ظهرَه ... لا ينهضُ الدَّهر بعبءٍ ثقيلْ
ولا بسعّالٍ إذا يُجتدى ... وضاقَ بالمعروفِ صدرُ السّعولْ ([408])
قد راعني الدُّهر فبؤساً له ... بفارس الفرسانِ والخنشليلْ ([409])

تركتني وسطَ بني عَلّةٍ ... أدورُ فيهم كاللّعين النّقيلْ ([410])

بكت عيني وحقّ لها العويل

وقالت الخنساء في رثاء أخويها معاوية وصخر : (البحر الوافر)

بكتْ عيني وحُقَّ لها العويل ... وهاض جناحيَ الحدثُ الجليلُ ([411])
فقدت الدهرَ كيفَ أكلَّ ركني ... لأقوام مودُّتهم قليلُ
على نفرٍ همُ كانوا جناحي ... عليهمً حينَ تلقاهم قبولُ
فذكَّرني أخي قوماً تولَّوا ... عليِّ بذكرهم ما قيلَ قيلُ
معاويةَ بنَ عمرٍو كان ركني ... وصخراً كان ظلُّهم الظَّليل
ذكرتُ فغالني فَنكا فؤادي ... وأرَّق قومي الحزنُ الطُّويل ([412])
أولو عزّ كأنَّهم غضاب ... ومجدٍ مدُّه الحسب الطُّويل
همُ سادوا معدّاً في صباهم ... وسادوا هم شبابٌ أو كهولُ
فبكّي أمَّ عمرو كلّ يومٍ ... أخا ثقةٍ محيَّاه جميل

كأنّني بعدك فيهم نقيل

وقالت الخنساء في رثاء صخر : (البحر السريع)

إنّ أبا حسَّان عرشٌ هوى ... ممّا بنى الله بكنٍّ ظليلْ
أتلعُ لا يغلبُه قَرْنُه ... مستجمعُ الرِّأي عظيمٌ طويلْ ([413])
تحسبُه غضبانَ مِن عزِّه ... ذلك منه خُلقٌ ما يحولْ
ويلُ امِّهِ مِسْعَرُ حربٍ إذا ... ألقيَ منها فارساً ذا شليلْ ([414])

تشقى به الكومُ لدى قدرِه ... والنُّاب والمُصْعَبَةُ الخنشليلْ ([415])
أنَّى لي الفارسُ أغدو بهِ ... مثلُك إذْ ما حَمَلَتْني الحَمولْ
تركتَني يا صخرُ في فتيةٍ ... كأنَّني بعدك فيهم نقيلْ

فقد أورثتما حزناً وذلَّا

وقالت في صخر راثية : (البحر الوافر)

أيا عينيّ ويحكما اسْتهلّا بدمع غيرِ منزورٍ وعلَّا ([416])
بدمع غيرِ دمعِكما وجودا فقد أورثتما حزناً وذُلَّا
علىً صخرَ الأغرِّ أبي اليتامى ويحملُ كلَّ معثرةٍ وكلَّا ([417])
فإنْ أسعفتماني فارفداني بدمعٍ يخضلُ الخدِّين بلّا
على صخرِ بنِ عمرٍو إنَّ هذا وإنْ قد قلَّ بحرُك واضمحلَّا
فقد أورثتما حزناً وذُلَّا وحرِّاً في الجوانب مستقلَّا
فقومي يا صفيُّة في نساءٍ بحرِّ الشمسِ لا يبغينَ ظِلَّا
يُشَقِّقْنَ الجيوبَ وكلّ وجهٍ طفيف أن تصلي له وقلَّا

لقد أضحكتني دهراً طويلاً

وفي صخر تقول الخنساء : (البحر الوافر)

ألا يا صخرُ إنْ أبكيتَ عيني لقد أضحكتني دهراً طويلا
بكيتُكَ في نساءٍ معولاتٍ وكنتُ أحقَّ مَنْ أبدى العويلا
دفعت بكَ الجليلَ وأنتَ حيٌّ فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلا
إذا قبحَ البكاءُ على قتيلٍ رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلا

سقى الإله ...

وقالت الخنساء في رثاء صخر : (البحر البسيط)

يا عينُ جودي بدمعٍ منكِ تهمالِ ... وعبرةٍ بنحيبٍ بعدَ إعوالِ
لا تسأمي أنْ تجودي غيرَ خاذلةٍ ... فيضاً كفيضِ غروبٍ ذاتِ أوشالِ
وابكي لصخرٍ طوالَ الدِّهر وانتحبي ... حتّى تحلَّي ضريحاً بينِ أجيالِ
يا لهفَ نفســـي على صخرٍ وقد لهفت ... نفســـي إذا التفَّ أبطالٌ بأبطالِ
وابكيه للطارقِ المنتابِ نائلُه ... وفي الحقيقةِ والإعطاءِ للمالِ
وابكيه للخيلِ تحتَ النَّقع عابسةً ... كأنَّ أكتافها علّتْ بجريالِ
يذودُها عن حمامِ الموتِ ذائدة ... كاللّيث يحمي عريناً دونَ أشبالِ
سقى الإلهُ ضريحاً جنَّ أعظمَهُ ... وروحَه بغزيرِ المزنِ هطّالِ ([418])

وكنت تراباً بين أيدي القوابل

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (البحر الطويل)

ألا ليتَ أمّي لم تلدْني سويَّة ... وكنتُ تراباً بينَ أيدي القوابلِ
وخرّت على الأرضِ السُّماء فطبّقتْ ... ومات جميعاً كلُّ حافٍ وناعلِ
غداةَ غدا ناعٍ لصخرٍ فراعني ... وأورثني حزناً طويلَ البلابلِ
فقلتُ له ماذاً تقول فقَال لي ... نعى ما ابنَ عمرٍو أثكلته هوابلي ([419])
فأصبحتُ لا ألتذُّ بعدَكَ نعمةً ... حياتي ولا أبكي لدعوةِ ثاكلِ
فشأنُ المنايا بالأقاربِ بعدَه ... لتعللْ عليهم علَّة بعدَ ناهلِ ([420])

يا صخر من للخيل ...

وفي صخر تقول الخنساء راثية : (مجزوء الكامل)

أبكي على البطلِ الَّذي جلَّلتم صخراً ثقالا ([421])
متحزِّماً بالسَّيف يركبُ رمحَه حالاً فحالا
يا صخرُ مَنْ لِلخيلِ إذْ ردَّت فوارسها عجالا
متســـربلي حلقِ الحديدِ تخالُهم فيه جِمالا
ويلي عليكَ إذا تهبُّ الريحُ باردةً شمالا
والحيدر الصّـــرّاد لم يَكُ غيمُها إلاّ طلالا
ليروَّع القومَ الذين نعدُّهم فينا عيالا
خيرُ البريِّة في قِرى صخرٍ وأكرمُهم فعالا
وهو المؤمَّلُ والّذي يُرجى وأفضلُها نَوالا

وفي القلب منه زفرة ما تزايله

وفي رثاء السادات من مضر، وصخر خاصةً قالت الخنساء مرتجلة بحضرة عمر بن الخطاب، وكان هذا قد حاول وعظها والطلب إليها أن تكفّ عن البكاء على من فقدت في الجاهلية، فما ازدادت إلا إصراراً على البكاء، فقالت : (البحر الطويل)

سقى جدثاً أكنافَ غمرةَ دونه ... منَ الغيثِ ديماتُ الرِّبيع ووابلُهْ ([422])
أعيرهمُ سمعي إذا ذُكِر الأسى ... وفي القلبِ منه زفرةٌ ما تزايلُهْ ([423])
وكنتُ أعيرُ الدَّمع قبلَكَ مَن بكى ... فأنتَ على مَن ماتَ بعدَك شاغلُه

وفي رثاء مرداس، زوجها، تقول الخنساء : (البحر الطويل)

ولمَّا رأيت البدرَ أظلمَ كاسفاً ... أرنَّ شواذ بطنه وسوائلُهْ
رنيناً وما يُغني الرُّنين وقد أتى ... بموتِكَ مِن نحوِ القُرَيَّةِ حاملُهْ
لقد خارَ مرداساً على النِّاس قاتلُهْ ... ولو عاده كنُّاته وحلائلُهْ
وقلْنَ ألا هَلْ مِن شفاءٍ ينالُه ... وقد مُنِعَ الشفاء مَن هو نائلُهْ
وفضَّل مرداساً على الناسِ حلمُه ... وأنْ كلّ همّ همَّه فَهْوَ فاعلُه
وأنْ كلُّ وادٍ يكرهُ الناسُ هبطَهُ ... هبطتَ وماءٍ منهلٍ أنتَ ناهلُهْ
تركت به ليلاً طويلاً ومنزلاً ... تعاوى على ظهرِ الطريق عواسلُهْ ([424])
وسبي كآرامِ الصِّـــريم تركتَهُ ... خلالَ الدِّيار مستكيناً عواطلُهْ ([425])
وعدتَ عليهم بعد بؤسي بأنعم ... فكلُّهمُ تعنى به وتواصلُهْ
متى ما توازنْ ماجداً يعتدلْ بهِ ... كما عدَّل الميزان في الكفِّ راطلُهْ ([426])

ألا ما لعينك أم مالها

ومن جيِّد رثاء الخنساء في أخيها، قيل هو في صخر، وقيل في معاوية، قولها : (البحر المتقارب)

ألا ما لعينكِ أم مالَها ... لقد أفضلَ الدُّمع سربالَها
أبعدَ ابْنِ عمرو مِنَ آلِ الشِّـــريد ... حلّت به الأرضُ أثقالَها
فآليتُ آسى على مالكٍ ... وأسألُ باكيةً مالَها ([427])
لعمرُ أبيكَ لِنعَمَ الفتى ... تحش به الحربُ أجذالَها ([428])
حديدُ السِّنان ذليقُ اللسانِ ... يُجازي المقارضُ أمثالَها
هممتُ بنفســـيَ كلَّ الهموم ... فأولى لنفســـيَ أولى لَها
سأحملُ نفســـي على آلةٍ ... فإمّا عليها وإمَّا لها
فإنْ تصبر النفسُ تلقَ السَّـــرور ... وإنْ تجزع النَّفس أشقى لَها

تهين النفوسَ وهوْنُ النفوسِ ... يومَ الكريهةِ أبقى لها ([429])
ونعلمُ أنّ منايا الرِّجال ... بالغةٌ حيثُ يُحلى لها
لِتجرِ المنيةُ بعدَ الفتى ... المغادر بالمحوِ إذ لالَها
ورجراجةٍ فوقها بيضُها ... عليها المضاعفُ أمثالَها ([430])
ككفرئةِ الغيثِ ذاتِ الصِّبير ... ترمي السَّحاب ويُرمى لَها ([431])
وخيلٍ تَكدَّس بالدَّارعين ... نازلتَ بالسِّيف أبطالَها
وقافيةٍ مثلِ حدِّ السِّنان ... تبقى ويذهبُ مَن قالَها
تقدُّ الذُّؤابة مِن يذبُلٍ ... أبت أنْ تفارقَ أوعالَها ([432])
نطقتَ ابنَ عمرو فسهّلتها ... ولم ينطقِ الناسُ أمثالَها
فإنْ تك مرّة أودَت به ... فقد كان يكثرُ تقتالَها
فخرَّ الشُّوامخ مِن قتلِه ... وزُلزلتِ الأرضُ زلزالَها
وزالَ الكواكبُ مِن فقدِه ... وجُلِّلت الشَّمس أجلالَها
وداهيةٍ جرُّها جارم ... تبينُ الحواضنُ أحمالَها
كفاها ابنُ عمرو ولم يستعنْ ... ولو كان غيرُك أدنى لها
وليسَ بأولى ولكنّه ... سيكفي العشيرةَ ما غالَها ([433])
بمعتركٍ ضيِّق بينه ... تجرّ المنيُّة أذيالَها ([434])
تُطاعنُها فإذا أدبرت ... بللتَ منَ الدِّم أكفالَها
وبيضٍ منعتَ غداةَ الصِّياح ... تكشفُ للرّوْعِ أذيالَها
ومُعْمَلَةٍ سُقْتَها قاعداً

فأعلمتَ بالسِّيف أغفالَها

وناجيةٍ كأتانِ الثميلِ غادرتَ بالخيلِ أوصالَها
إلى ملكٍ لا إلى سُوقةٍ وذلك ما كان أكلاً لَها ([435])
وتمنحُ خيلَكَ أرضَ العِدا وتنبذُ بالغزوِ أطفالَها
ونوحِ بعثتَ كمثلِ الإراخ آنسَتِ العينُ أشبالَها

❁ ❁ ❁

فيا حبّذا كوز ...

وللخنساء في كوز ابن أخيها صخر، قولها : (البحر الطويل)

ومَن لامني في حبِّ كوزٍ وذكرهِ فلاقى الذي لاقيتُ إذ حفر الرِّجم
فيا حبَّذا كوز إذا الخيلُ أَدبرتْ وثار غبارٌ في الدِّهاس وفي الأكم
فنعم الفتى تعشو إلى ضوءِ نارِه كُوَيْزُ بنُ صخرٍ ليلةَ الرِّيح والظُلَم
إذا البازلُ الكوماءُ لاذت برفلِها ولاذت لواذاً بالمدرّين بالسَّلم
وقد حال خيرٌ مِن أناسٍ ورفدهم بكفَّيْ غلامٍ لا ضنينٍ ولا برَم

وليس بكأس المدام ...

وللخنساء مفتخرة : (البحر المتقارب)

ألا أبْلِغْ سُليماً وأشياعَها ... بأنّا فضلنا برأس الهمامْ
وأنُّا صبحناهم غارةً ... فأروتهمُ منِ نقيعِ السّمامْ
وعبساً صبحنا بثهلانهم ... بكأسٍ وليسَ بكأسِ المدامْ ([436])
وثعلبة الرِّوع قد عاينوا ... خيولاً عليها أسودُ الأجامْ ([437])
يلوذون منَّا حذار اللّقا ... فضــرباً وطعناً وحسنَ النّظامْ

وسقنا لرائِمهم سجّداً ... بأحداجِها وذواتِ الحزامْ

ويعجز عن إفضاله كلّ شيظم

وللخنساء في صخر، راثية : (البحر الطويل)

أَمِنْ ذكرِ صخرٍ دمعُ عينكَ يسجمُ بدمعٍ حثيثٍ كالجمانِ المنظِّم ([438])
فتًى كان فينا لم ير النُّاس مثلَهُ كفالاً لأمٍ أو وكيلاً لمحرمِ
حسيب ينالُ المجدَ منه ببسطةٍ ويعجزُ عن إفضالِه كلُّ شَيظم ([439])
ففرَّقت فرعيْها وكنتَ سدادَها إذا كان يومٌ بالغاً كلَّ معظم
وما ضاعت الأرحامُ عندَك والذي وليتَ وما استحفظتَ فيها لَمجرمِ
كأنَّ بغاة الخيرِ عندَك أصبحوا على نَهَجٍ من طافحِ البحرِ خضـــرمِ
توسَّعت للحاجاتِ يا صخر كلِّها إذا قال فَرسانُ اللِّقَاَ صخرُ أقدمِ
إذا ذكرتْ نفســـي نداه وبأسَهُ تحسَّـــر عنها كلُّ عيشٍ وأنعمِ

أسقى الإله ضريحه

وللخنساء في رثاء أخيها معاوية : (مجزوء الكامل)

يا عينُ جودي بالدّمو ... عِ المستهلاّت السّواجمْ
فيضاً كما انخرقَ الجما ... نُ وجال في سلكِ النواظمْ
وابكي معاويةَ الفتى ... وابنَ الخضارمة القماقمْ ([440])
والحازمَ البانِي العلا ... في الشاهقاتِ منَ الدّعائمْ
تلقى الجزيلَ عطاؤه ... عندَ الحقائقِ غيرَ نادمْ
أسقى الإلهُ ضريحَهُ ... مِن صَوْبِ دائمةِ الرّهائمْ ([441])

لنعم الفتى أرديتم آل خثعما

وللخنساء في رثاء صخر، وقيل : هو لريطة بنت عباس الأصمّ في رثاء أبيها الذي قتلته خثعم، وثأر له عباس بن مرداس : (البحر الطويل)

لَعمري وما عمري عليَّ بهينٍ
أصيبَ به فرعا سُليم كلاهما
وكان إذا ما أقدم الخيلَ بيشةً
فأرسلَها تهوي رعالاً كأنّها
فأمسى الحوامي قد تعفّيْنَ بعده
فآبت عشاءً بالنِّهاب وكلُّها
وكانت إذا ما لم تطاردْ بعاقلٍ
وكان ثمال الحيّ في كلِّ أزمة
وينهضُ للعليا إذا الحربُ شمَّرت
فأقسمتُ لا أنفكُّ أحدرُ عبرةً

لنعمَ الفتى أرديتُم آلَ خثعما ([442])
فعزَّ علينا أنْ يصابَ ونُرغما
إلى هضبِ أشراكٍ أناخ فألجما ([443])
جرادٌ زفتْهُ ريحُ نجدٍ فأتهما ([444])
وكان الحصـــى يكسو دوابرَها دما
يُرى قلقاً تحت الرِّحالة أهضما
أو الرّسّ خيلاً طاردتْها بعيهما
وعِصْمَتَهُمْ والفارسَ المتغشّما
فيطفئُها قهراً وإنْ شاء أضرما
تجولُ بها العينانِ منّي لتسجما

وكلُّ بيت طويل السّمك مهدوم

وفي رثاء صخر تقول الخنساء : (البحر البسيط)

كلُّ امْرِئٍ بأثافي الدِّهر مرجومُ
لا سُوقةٌ منهمُ يبقى ولا ملكٌ
إنَّ الحوادثَ لا يبقى لنائِبها
وقد أتاني حديثٌ غيرُ ذي طِيَلٍ
إنّ الشَّجاة التي حدُّثتم اعترضت
إنْ كان صخرٌ تولّى فالشُّمات بكم
مرُّ الحوادث ينقاد الجليدُ لها
قد كان صخرٌ جليداً كاملاً برعاً
فأصبحَ اليومَ في رمســـي لدى جدثٍ
تاللهِ أنسى ابنَ عمرِو الخيرِ ما نطقت
أقول صخرٌ لدى الأجداثِ مرمومُ

وكلُّ بيتٍ طويلِ السُّمك مهدوم ([445])
ممّن تملّكه الأحرارُ والرُّوم
إلاّ الإلهُ وراسي الأصلِ معلومُ
من معشـــرٍ رأيُهم قِدْماً تهاميمُ
خلفَ اللّها لَم تسوّغها البلاعيمُ ([446])
وليس يشمتُ مَن كانت له طومُ
ويستقيمُ لها الهيُّابة البومُ
جَلْد المريرةِ تَنميه السّلاجيمُ
وسطَ الضّـــريح عليه التُّرب مركومُ
حمامةٌ أو جرى في البحر علجومُ ([447])
وكيف أكتمه والدُّمع مسجومُ

خصصت بها أخا الأحرار

وقالت الخنساء في قيس الجشمي الذي ثأر لمعاوية أخي الخنساء فقتل هاشم بن حرملة، قاتل معاوية : (البحر الوافر)

فِدًى للفارسِ الجشميّ نفســـي وأفديه بمن لي من حميمِ
وأفديه بكلِّ بني سليم بظاعنِهم وبالأنس المقيمِ
خصصتُ بها أخا الأحرارِ قيساً فتًى في بيتِ مكرمةٍ كريمِ

❁ ❁ ❁

شهّاد أندية حمال ألوية

وللخنساء في رثاء أخيها صخر : (البحر البسيط)

يا عينُ بكِّي على صخر لأشجانِ ... وهاجسٍ في ضمير القلبِ خزّان ([448])
إنّي ذكرت ندى صخرٍ فهيّجني ... ذكرُ الحبيبِ على سقم وأحزانِ
فابكي أخاكِ لأيتام أضرَّ بهم ... ريبُ الزّمان وكلّ الضّـــرِّ يغشاني
وابكي المعمَّم زينَ القائدين إذا ... كان الرُّماح لديهم خلجَ أشطانِ ([449])
وابنِ الشِّـــريد فلم تبلغ أرومتهُ ... عندَ الفخارِ لِقرم غيرِ مهجانِ ([450])
لو كان للدِّهر مالٌ عندَ متلدهِ ... لكان للدِّهر صخرٌ مال فتيانِ ([451])
آبي الهظيمة آتٍ بالعظيمةِ متلافِ ... الكريمةِ لا نِكسٍ ولا وانِ ([452])
حامي الحقيقةِ بسّال الوديعةِ ... معتاقِ الوسيقةِ جلدٍ غيرِ ثنيانِ
طلاّع مرقبةٍ منّاع مغلقةٍ ... ورّاد مشـــربةٍ قطّاع أقرانِ
شهّاد أنديةٍ حمّال ألويةٍ ... قطّاع أوديةٍ سرحانِ قيعانِ ([453])

يحمي الصّحاب إذا جدّ الضُّـــراب ... ويكفي القائلين إذا ما كيّل الهاني
ويترك القرنَ مصفرّاً أنامله ... كأنَّ في ريطتيْه نضحَ أرقانِ
يعطيكَ مالا تكادُ النفسُ تسلمه ... منَ التّلادِ وهوبٍ غير منّانِ

طلق اليدين وهوب غير منّان

وللخنساء في صخر ترثيه : (البحر البسيط)

يا لهف نفســـي على صخرٍ وقد فزعت ... خيلٌ لِخيلٍ وأقرانٌ لأقرانِ
سمحٌ إذا يسّـــر الأقوامُ أقدحَهم ... طلقُ اليديْنِ وهوبٌ غيرُ منّانِ
حُلاحلٌ ماجدٌ محض ضريبتُه ... مجذامةٌ لهواه غيرُ مبطانِ ([454])
سمحٌ سجيَّته جزلٌ عطيَّته ... وللأمانةِ راعٍ غيرُ خوّانِ
نعمَ الفتى أنت يومَ الرِّوع قد علموا ... كفءٌ إذا التفَّ فرسانٌ بفرسانِ
سمحُ الخلائقِ محمودٌ شمائلُه ... عالي البناءِ إذا ما قصَّـــر الباني
مأوى الأراملِ والأيتامِ إنْ سغبوا ... شهَّادُ أنجيةٍ مطعامُ ضيفانِ ([455])
حلفُ النُّدى وعقيد المَجدِ أيّ فتى ... كاللّيث في الحربِ لا نكسٌ ولا وانِ

وللخنساء قولها في صخر : (البحر المتقارب)

ونعم الفتى في غداةِ الهياجِ ... إذا ما الرُّماح نجيعاً روَينا

ولها أيضاً : (البحر البسيط)

نأي الخليلين كونُ الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتَها سكنا

* * *

بكت عيني وعاودها قذاها

وفي رثاء أخيها صخر قالت الخنساء : (البحر الوافر)

بكت عيني وعاودَها قذاها ... بعُوِّار فما تقضـــي كراها ([456])
على صخرٍ وأيُّ فتًى كصخرٍ ... إذا ما النَّاب لم ترأمْ طلاها ([457])
فتى الفتيانِ ما بلغوا مداه ... ولا يُكدى إذا بلغت كداها
حلفتُ بربِّ صُهبٍ يعملاتٍ ... إلى البيتِ المحرِّم منتهاها ([458])
لئن جزعت بنو عمرٍو عليه ... لقد رزئت بنو عمرٍو فتاها
له كفٌّ يشدُّ بها وكفٌّ ... تحلَّبُ ما يجفُّ ثَرَى نداها
ترى الشُّمَّ الجحاجحَ مِن سليمٍ ... يبلُّ ندى مدامِعها لحاها ([459])
على رجلٍ كريم الخيم أضحى ... ببطنِ حفيرةٍ صَخِبٍ صداها
ليبكِ الخيرُ صخراً مِنَ مَعَدٍّ ... ذوو أحلامِها وذوو نهاها
وخيلٍ قد لففت بجولِ خيلٍ ... فدارت بين كبشيْها رحاها
تَرَفَّعُ فضل سابغةٍ دلاصٍ ... على خيفانةٍ خفقٍ حشاها ([460])

وتسعى حيث تشتجرُ العوالي ... بكأسِ الموتِ ساعةَ مصطلاها ([461])
محافظةً وممحيةً إذا ما ... نبا بالقوم من جزعٍ لظاها
فتتركُها قد اضطرمت بطعنٍ ... تضمّنه إذا اختلفتْ كلاها
فمن للضِّيف إنْ هبّتْ شمالٌ ... مزعزعةٌ تجاوبُها صباها
وألجأ بردَها الأشوال حدباً ... إلى الحجراتِ باديةٌ كلاها
هنالك لو نزلتَ بآلِ صخرٍ ... قرى الأضيافِ شحماً من ذراها
فلم أملكْ غداةَ نعيِّ صخرٍ ... سوابقِ عبرةٍ حلبت صراها
أمطعمكم وحاملكم تركتم ... لدى غبراء منهدم رجاها
ليبكِ عليك قومُك للمعالي ... وللهيجاءِ إنّك ما فَتاها
وقد فقدتك طلقةُ فاستراحت ... فليت الخيلَ فارسُها يراها

أخوين كالصّقرين ...

وللخنساء في الفخر، وقيل هو لهند بنت عتبة، قولها : (مجزوء الكامل)

مَن حسّ لي الأخويْن كالغصنيْن أو من رآهما
أخوين كالصّقرين لم ير ناظر شرواهما
قدمينِ لا يتظالمان ولا يُرام حماهما
أبكي على أخويّ والقبر الذي واراهما
لا مثل كهلي في الكهول ولا فتى كفتاهما
رمحيْن خطّيّين في كبد السّماء سناهما
ما خلّفا إذ ودّعا في سؤدد شرواهما
سادا بغير تكلّفٍ عفواً بغيضِ نداهما

* * *

ألا أيّها الدّيك ...

وفي رثاء صخر تقول الخنساء : (البحر الطويل)

ألا أيُّها الدُّيك المنادي بسحرةٍ ... هلمَّ كذا أخبرْكَ ما قد بدا ليا [462]
بدا ليَ أنُّي قد رزئتُ بفتيةٍ ... بقيِّة قوم أورثوني المباكيا [463]
فلمَّا سمعت النِّائحات يَنُحنه ... تعزَّيت واستيقنتُ أنْ لا أخا ليا
كصخرِ بن عمرٍو خيرِ مَنْ قد علمتَه ... وكيف أُرَجَّي العيش ضلَّ ضلالليا
ومالِيَ لا أبكي على مَن لَوَ انَّهُ ... تقدَّم يومي قبلَه لَبَكي ليا
وإنْ تُمسِ في قيسٍ وزيدٍ وعامرٍ ... وغسَّان لمَ تسمعْ له الدَّهر لاحيا [464]

أخو الجود يبني للفعال العواليا

وفي رثاء صخر ومعاوية، أخويها، تقول الخنساء : (البحر الطويل)

أرى الدَّهر أفنى معشـــري وبني أبي ... فأمسيتُ عبرى لا يجفّ بكائيا
أيا صخرُ هل يُغني البكاءُ أوِ الأسى ... على ميِّت بالقبرِ أصبحَ ثاويا
فلا يُبعدنَّ الله صخراً وعهدَه ... ولا يبعدنَّ اللهُ ربّي معاويا
ولا يبعدنَّ اللهُ صخراً فإنّه ... أخو الجودِ يبني للفعالِ العواليا

سأبكيهما والله ما حنَّ والهٌ ... وما أثبتَ اللهُ الجبالَ الرّواسيا
سقى اللهُ أرضاً أصبحت قد حوتهما ... منَ المستهلاّت السِّحاب الغواديا ([465])

لم ينهه النّاهي ولا النّاهية

وفي رثاء صخر تقول الخنساء : (البحر السريع)

أبنتُ صخرٍ تلكما الباكيَهْ ... لا باكيَ اللَّيلة إلاِّ هيَهْ
أودى أبو حسَّان واحســـرتا ... وكان صخرٌ ملكَ العاليَهْ [466]
ويلايَ ما أرحمُ ويلاً لِيَهْ ... إذْ رفعَ الصَّوت النَّدَى النّاعيهْ
كذّبت بالحقِّ وقد رابني ... حتَّى علت أبياتنا الواعيَهْ
بالسّيِّد الحلوِ الأمينِ الّذي ... يعصمُنا في السَّنَةِ العاديَهْ [467]
لكنَّ بعضَ القومِ هَيَّابة ... في القوم لا تغبطُه الباديَهْ
لا ينطقُ العرفُ ولا يلحنُ ... الغرف ولا ينفذ بالغازيَهْ
إنْ تُنصبِ القدرُ لدى بيتهِ ... فغيرُها يحتضـــرُ الجاديَهْ
لكنْ أخي أروعُ ذو مِرَّة ... مَنْ مثلُه تسترفدُ الباغيَهْ [468]
لا ينطقُ النكرَ لدى حرَّة ... خالي الهِّم في الغاويَهْ
إنَّ أخي ليس بترعيَّة ... نكسِ هواءِ القلبِ ذي ماشيَهْ [469]
عطّافه أبيض ذو رونق ... كالرِّجع في المُدجنةِ السَّاريهْ [470]
فوق حثيثِ الشّدِّ ذو ميعةٍ ... يقدمُ أولى العُصَبِ الماضيَهْ [471]

لا خيرَ في عيشٍ وإنْ سرَّنا ... والدَّهر لا تبقى له باقيَهْ
كلُّ امْرئٍ سُرَّ به أهلُه ... سوفَ يُرى يوماً على ناحيَهْ
يا مَن يرى من قومِنا فارساً ... في الخيلِ إذْ تعدو به الضَّافيهْ
تحتك كبداءُ كُميتٌ كما ... أدرِج ثوب اليمنةِ الطَّاويهْ
إذْ لحقت مِن خلفِها تدّعي ... مثلَ سوام الرِّجل الغاديَهْ
يكفؤُها بالطِّعن فيها كما ... ثلَّم باقي جَبوةِ الجابيَهْ
تهوي إذا أرسلن مِن منهلٍ ... مثلَ عقابِ الدُّجْنةِ الدَّاجيهْ
عارضُ سحماءَ ردينيَّة ... كالنِّار فيها آلةٌ ماضيَهْ
أشربَها القينُ لدى سنّها ... فصارَ فيها الْـحُمةَ القاضيَهْ
أنَّى لنا إذ فاتنا مثله ... للخيلِ إذا جالت وللعاديَهْ
أقسمُ لا يقعدُ في بلدةٍ ... نائيةٍ عن أهلِه قاصيَهْ
فأَقْصَدُ السِّير على وجههِ ... لم ينهه النّاهي ولا النَّاهيهْ

وكان لزاز الحرب عند شبوبها

وفي رثاء أخيها معاوية تقول الخنساء : (البحر الطويل)

ألا لا أرى في النّاس مثل معاويَهْ ... إذا طرقَتْ إحدى اللَّيالي بداهيهْ ([472])
بداهيةٍ يصغى الكلابُ حسيسَها ... وتخرجُ مِن سرِّ النّجيّ علانيَهْ
ألا لا أرى كالفارسِ الوردِ فارساً ... إذا ما علته جرأة وعلانيَهْ
وكان لِزاز الحربِ عند شبوبِها ... إذا شمِّرت عن ساقها وهي ذاكيَهْ ([473])
وقوَّاد خيلٍ نحوَ أخرى كأنّها ... سَعَالٌ وعقبانٌ عليها زبانيَهْ ([474])
بلينا وما تبلى تعارٌ وما تُرى ... على حدثِ الأيِّام إلاَّ كما هيهْ ([475])
فأقسمتُ لا ينفكُّ دمعي وعولتي ... عليكَ بحزنٍ ما دعا اللهَ داعيَهْ

* * *

[1] () تسكابا : مصدر على وزن (تفعال) من سكب الماء ونحوه، إذا صبّه. وراب : كذب، والريّاب: الشديد الكذب والارتياب. وهنا تسائل الشاعرة عينها عن السبب الذي من أجله لا تبكي على صخر، أخيها، بكاء متواصلاً وكأنه انسكاب الماء من القرب، وذلك حزناً عليه، وفرقاً من الدهر الكاذب الذي فجعها بأخيها.

[2] () تطلب الشاعرة من عينها أن تبكي أخاها حزناً عليه، وإشفاقاً على أولاده الأيتام الذين تركهم من بعده، إضافة إلى الزوجة الأرملة. وأجناباً: غرباء.

[3] () القطا : ضرب من الحمام البرّي، واحدته قطاة. والعصب : جمع عُصْبة، وهي الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير. وثوى بالمكان، وفيه ثواءً : أقام واستقرَّ، وهلك. والسيب: كل ما سيُّب وخلّي فساب، وهو العطاء. والأنهاب : جمع نهب، وهو الغارة، والغرض المعرّض للإصابة. شبهت الخيل التي خلّفها صخر بالقطا، فهي عصب صارت معرّضة للسلب والنهب من بعده.

[4] () يعدو به : أي بصخر . والسابح : صفة للفرس السـريع، وكذلك النهد، وهو الفرس في أول نهوضه واكتماله. ومراكل الفرس، أو الدابة، ومركلاها: الموضعان للقصرين من الجنبين حيث يركلها الفارس برجله إذا حرّك الفرس للركض. ومجلبب: عليه الجلباب، وهو القميص أو الثوب المشتمل على الجسد كله، وهو الملاءة تشتمل عليها المرأة.

[5] () **يصبّح القوم: يدركهم في الصباح. والأسلاب : جمع سلب : وهو ما يسلب من القتيل من ثياب. وسلاح أو دابّة.**

[6] () حقيقة الرجل: ما يلزمه حفظه والدفاع عنه. والمأوى: المكان الذي يَؤْوي ويلجأ إليه. والضريك: الفقير البائس الهالك سيِّئ حال. وهو الضرير أيضاً والجائع. والمنتاب : النائب، أي التائب والقاصد. تصف صخراً بالشجاعة والمنعة ونصرة الضعيف.

[7] () الرعيل: الجماعة التي تتقدم غيرها. والنهد: الضخم. والتليل: العنق. أي إن صخراً يتقدَّ م الناس ويحميهم ويرشدهم. وهو فارس مقدام لا يخشى الصعاب.

[8] () الحلة: الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقاً. والعلّ ة من كل شيء: سبب وجوده وحوزة الرجل: ما في ملكه. وحوزة الشيء: حدوده ونواحيه. وقرن الرجل: مثله في الشجاعة والعلم وغير ذلك. تصف صخراً بالجود والصدق والشجاعة ونبل المحتد.

[9] () المحفلة، والمحفل: مكان الاجتماع. وفرّاج المظلمة: موسّعها، ومزيل ظلامها. والمعضلة: المسألة المشكلة التي لا يُهتدى لوجهها. وسنّى لها بابا: هيّأ لها باباً ويسّـره وفتحه. أي هو يخطب في المحافل، ويفرج الظلمات، أي الكربات ، ويحلّ المعضلات والمشكلات.

[10] () الألوية : جمع لواء وهو الراية التي ترفع في الحروب. والأندية، جمع نادٍ، وهو محل اجتماع القوم. والوتر: طلب الثأر من القاتل. وفي رواية نجد (أنجية) بدلاً من أندية، والمعنى واحد.

[11] () سم العداة : كناية عن قوة شكيمته، في دفاع الأعداء. والعناة : جمع عانٍ، وهو الأسير. والوغى : الحرب، لما فيها من صوت وجلبة. أي هو لا يهاب لقاء الأقران في الحرب، وهو الذي يقهر الأعداء ويفكّ الأسرى والعناة.

[12] () ابن الشريد : هو صخر أخو الخنساء، وكلاهما ولد عمرو بن الشريد. والمقبّح : الذي يقع عليه التقبيح والتشنيع. والمكباب: الكثير النظر إلى الأرض .

[13] () الفكه: الطيّب النفس، الضحّاك. والشهباء: صفة للسنة المجدبة الشديدة البرد. والأطناب : جمع طنب، وهو الحبل تشدّ به الخيمة إلى الأوتاد. والمعنى أن صخراً يبذل ماله ويقدّ م طعامه للعافين في السنة الشهباء.

[14] () الأرج: طيّب الرائحة. والعطاف : وجمعه عطف وأعطفة، هو الرّداء لأنه يلفّ العطفين. أو هو عطف الرجل نفسه، أي جانبه. ولعل قوله : أرج العطاف، كناية عن تواضعه فهو أرج العطف، لاثانيه ، من كبر وزهو. والمهفهف: الضامر البطن، الدقيق الخصر. والأجناب : جمع جنب، وهو الشقّ وا لناحية. وقد يكون جمع أجنب وأجنبي، وهو الغريب.

[15] () الحقيق : جمع حقيقة، على غير قياس، والأصل حقائق، والحقيقة، ما يجب على المرء أن يحميه ويدافع عنه. وصخر، هنا، يحمي الحقيقة، وهو كالأسد في الوغى، أي في الحرب، بل هو أسد من أُسْد بيشة، اسم موضع مشهور، كاشر الأنياب : أي أنيابه بارزة.

[16] () لم تكتف الشاعرة بتشبيه صخر بالأسد، كما في البيت السابق، بل راحت تظهر هنا عظمة هذا الأسد، فهو أسد تناذره الرفاق، أي تحاموه. وهو أسد ضبارم : أي شديد متوثب، وهو شثن البراثن أي غليظها ، والبراثن من السباع والطير، بمنزلة الأصابع من الإنسان.

[17] () السميذع : صفة للأسد الماضي العزيمة المتوثب. والضريبة: الطبيعة والسجيّة.

[18] () الدسيعة: الجفنة الكبيرة والندى: الجود والسخاء. أي إنّ صخراً مضياف جواد يقري الضيف، ويؤوي اليتيم.

[19] () تغوّر النجم: غار ومال إلى المغيب. وتؤوب: تعود. والمآب: المصير، ومكان الأوبة.

[20] () أبو أوفى : كنية صخر، أخي الخنساء. والخلال: المناقب والصفات الحسنة. والشعاب : جمع شعب وشعبة، وهي الطرق المختلفة.

[21] () الخرق: المفازة من الأرض. ومثلها الدّوية : وهي البريّة من الأرض. وأنضاء القميص: القمصان البالية. ونضـــ ى الثوب والقميص: نزعه.

[22] () المجذام والمجذامة: القاطع للأمور وللأشياء. وهنا صفة للناقة السريعة التي تقطع الفلوات. وكور الناقة : الرحل بأداته، وهو مما تذلّل به الناقة.

[23] () ظمؤها: عطشها. والإناخة: النزول للراحة.

[24] () المظلومة : صفة للأرض التي حفرت في غير موضع حفرها، وهنا، صفة للشجرة أو للناقة. والحوامل: عصب القدم والذراع. وأفنانها: أغصانها.

[25] () ناط: علّق. والركب : ركبان الإبل أو الخيل.

[26] () الرحل: ما يجعل على ظهر البعير، كالسّرج، والأثاث وغيره. ويحور: ينقص.

[27] () الأعوجي : صفة للضامر من الإبل التي اعوجّت جوعاً وهزالاً. وجؤجؤ الناقة أو الطير : صدرها. والعذار : ما سال من اللجام على خدّ الفرس، وهو جانب الوجه، والشعر المنسدل على جانبه.

[28] () سرب: سائل. وراعها: أحزنها وهالها وخوّفها. وهنا الشاعرة تخاطب نفسها وعينها التي ما انفكت تبكي على صخر فهي لا يقرّ لها قرار.

[29] () أغرّ : في وجهه غرة، وهي البياض في الوجه أو الجبين. والأزهر : ما فيه زُهرة وهي البياض، كأنه البدر المضـــيء. والموصوف هنا هو صخر. والعتيق : الكريم، والخالص من كل شيء. والندب : جمع ندبة، وهي القرح وأثر الجرح في الوجه والجلد. كناية عن شرفه وطيب محتده وجماله.

[30] () رحائلها : جمع رحالة وهي السرج من الجلد. وسغبوا: جاعوا.

[31] () الضرائك : جمع ضريك، وهو الفقير السَّيِّئ الحال، والشديد عصب الخلق. والكرب : جمع كربة، وهي الشدُّة والضيق. وهنا تشير الشاعرة إلى أن صخراً كان يفرِّ ج هم المهموم، ويسد خلّة المعوز المحتاج.

[32] () جود الرواعد : إشارة إلى الأمطار المصحوبة بالرعود.

[33] () الخلائق : جمع خليقة، وهي الطبيعة والسجيّة. والمقتضب : القصير النفس، والسريع.

[34] () الأسماط : جمع سمط، وهو الخيط الذي تنتظم فيه حبات اللؤلؤ، أو الخرز.

[35] () معتكر: شديد السواد. والصدع: الشق. والمشعوب : ملتئم.

[36] () محروب، وحريب : مسلوب المال.

[37] () مكتنع: دان وحاضر. والمكروب : من فيه كرب وشدة.

[38] () الكلوم: جمع كلم، وهو الجرح.

[39] () يؤبن: يعاب ويخلط.

[40] () أبو حسّان : كنية صخر، أخي الخنساء.

[41] () جعد اليدين : كناية عن البخل. والحلم: العقل.

[42] () خرق : من الخرق، وهو الحمق، وسوء التصرف والجهل وضعف الرأي. والقطوب: العبوس.

[43] () استعبرت : أخذت في البكاء وذرف العبرات والدموع . والكاظم: الساكت. والكاظم أيضاً: العطشان والمكروب. واليابس الجوف من الحزن والكرب.

[44] () قصمت: قطعت وبترت، والقناة الصليبة : كناية عن الظهر، والنبع : شجر صحراوي يعرف بشدته وصلابة عوده. والصليب: الشديد والقوي.

[45] () الوجيف: السقوط من الخوف، والاضطراب. واقشعرت: ارتعدت. والدرّة : كثرة الدّرّ، وفي الأصل، هو درّ اللبن من ضرع الناقة وغيرها..

[46] () الصرّيخ: المستغيث، وهنا المصدر من صرخ صراخاً وصريخاً، أي صياحاً. وزجروها: صاحوا بها للحثّ على السير. وطابقت: قاربت خطوها. وهرّت : صاحت، والهرير، صوت الكلاب، ونباحها.

[47] () عصاب الحرب: ما تعصب به، وهو شريط دقيق يدعى العصابة. والمريّ : الناقة الكثيرة اللبن، والعرق الذي يمتلئ ويدرّ باللبن، ودرّت: سالت، وجادت باللبن.

[48] () رامها: قصدها. والحالب، من يستخرج اللبن من ضرع الناقة. وتقته : اتقته، وحالت دونه. والإيزاغ: المصدر من أوزغ الحيوان ببوله، إذا رماه دفعة دفعة . واقمطرّت : تقبضت وتهيأت.

[49] () أبو حسان : كنية صخر . وأرغثها: طعنها مرّة بعد مرّة. وأقرّت: استقرت وهدأت.

[50] () سجية: طبيعة، والرحى: الطاحونة. والعوان من الحروب: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى، وهي أشدّ الحروب. واستدرت: استجلبت الدّرّ والإثارة.

[51] () الوغى: الحرب والقتال. واسبطرَّت : امتدت واضطجعت وأسرعت.

[52] () ضروس: شديدة. والمرّان، الرماح اللدنة في صلابة، وواحدتها مرّان ة.

[53] () أحنثتك : جعلتك تحنث، أي تميل إلى الباطل، وتأثم، ولم تف في يمينك.

[54] () السوام : جمع سائمة، وهي السائمة أيضاً، وجمعها سوائم، وهي الماشية والإبل الراعية. والهوادة: ما يرجى به الصلاح بين القوم، والهوادة: اللين والرفق.

[55] () تبالة : اسم موضع في عسير جنوب شرقي مكة، كان فيها صنم اسمه ذو الخلصة. وهي مشهورة بأسودها. والمدلّ : اسم الفاعل من أدلّ إدلالاً على أقرانه، إذا أخذهم من فوق، وكذا يفعل الأسد والبازي على صيده. وكرّت: هجمت ومضت مقبلة مسرعة.

[56] () تطلب من عينها أن تجود بالدمع فتنهمر حزناً على صخر، وهذا الدمع، على انهماره، فهو قليل بإزاء مصيبتها بصخر والمرزئة به. والمرزئة : المصيبة والفاجعة.

[57] () جلّت المصيبة : إذا عظمت. وويحك : كلمة ترحّم وتوجّع، وقد تأتي ب معنى المدح والتعجب.

[58] () روّعتني : أصابتني بالرّوع والهلع. وخصّت المصيبة : إذا كانت محصورة بحيّز ضيّق. وعمَّ ت: إذا جاوزت الحدّ والنطاق الضيّق.

[59] () شلّت : أصابها الشّلل، وهو اليبس والعجز عن الحركة.

[60] () النوافل : جمع نافلة، وهي العطيّة والفضل والغنيمة.

[61] () العصمة: المنع. وزلّت: سقطت وزالت.

[62] () النوال: العطاء والخير. وبلّت: ذهبت في الأرض. والسحاب: الغمام والمطر.

[63] () راخى خناقة أو رباقة: نفّس عنه، وحاول فكاكه من الخناق. وابن عمرو : هو صخر أخو الخنساء.

[64] () الظاعنة: الراحلة عن الديار.

[65] () الربابة: المزنة أو الغيمة الممطرة والسحابة المعطاء.

[66] () أرزًّا: أصاب الرزء، أي أفجع بعده، وهي مخففة من أُرَزَّأَ .

[67] () السنيح والسانح من الطير : الذي يأتي من يمين الرائي، ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار. وكانت العرب تتفاءل بالسنيح أو السانح، وتتشاءم بالبارح.

[68] () غاله: أهلكه. والمنون: المنية. والغادي: السائر صباحاً. والرائح: السائر مساء.

[69] () الرمس: القبر. والسوافي : جمع سافية، وهي صفة للريح التي تسفي التراب لشدتها، وتحمله وتذرّه وتبدّده. والرامسات: الرياح التي تغطي آثار الديار بما تثير من تراب ورمل. والرامسات، أيضاً، والروامس: الطير التي تطير في الليل. والبوارح : جمع بارح، وهي الريح الحارّة.

[70] () الراكضات : صفة للخيل، ومثلها السوابح، لأنها مسرعة وتجدّ في المسير، فكأنها تسبح.

[71] () الذابل : الدقيق المهزول. وهو صفة للرمح. والعتيق : صفة للسيف الجيد من الصفائح، أي السيوف المصفوحة .

[72] () الدلاص: الدرع. والأضاة : الغدير. والمذالة: الطويلة الذيل. والقارح من الجياد: الذي شقّ نابه وطلع. والعتيق منها: الذي كرم أصله ونجب.

[73] () الذمول من الإبل : ما كانت تسير سيراً ليِّناً. والشملّ ة من الإبل: السريعة. والفنيق: الفحل الكريم من الإبل. والآزح منها: المتخلّف.

[74] () المكاشح : الذي فيه كشاحة، أي عداوة مضمرة. والتلاد: القديم.

[75] () السوافح : جمع سافحة ، وهي صفة للدموع، أي المنسكبة والمنهمرة.

[76] () الغروب : جمع غرب، وهي الفرس الكثير الجري. والغروب : جمع غرب، وهو الماء يقطر من الدلو بين الحوض والبئر. أو هو عرق العين يسقي ولا ينقطع، وهو الدمع نفسه، أو مسيل الدمع، ومقدم العين. والنواضح : جمع ناضحة، اسم الفاعل من نضحت الشيء بالماء، إذا رشّته به، وبلّته. ونضح البعير الماء: حمله من البئر أو النهر لسقي الزرع.

[77] () الضريحة: المشقوقة. ويراد بها الضريح، أي القبر. والصفائح: الحجارة العراض توضع فوق اللحد من القبر.

[78] () الرمس: القبر. ومثله الجدث. وثوى: أقام. والنواضح : جمع ناضح وناضحة، وهي المطر.

[79] () الجحجاح : السيّد المسارع إلى المكارم.

[80] () الجابر: الذي يجبر العظم ويصلحه. والكسير: المكسور. والمهاصر : صفة للأسود التي تهصر العظم وتكسره. والممانح : صفة للغيث الذي لا ينقطع.

[81] () الهجان: جمع هجينة، وهي الفرس غير العتيق، أو الذي ولدته برذونة من حصان عربي. والخناذيذ : جمع خنذيذ ، وهو الطويل الصّلب، والشجاع والسخيّ. وهنا، صفة للخيل الطويلة القوية. ومثلها السوابح من الخيل أي المسرعة.

[82] () الجوانح : جمع جانحة، وهي الأضلاع تحت الترائب ممّا يلي الصدر.

[83] () البادرة: طرف السهم من جهة النصل، وهي اللحمة بين المنكب والعنق. والشنف: المبغض، ومثله المكاشح .

[84] () المدى : جمع مدية، وهي السكين.

[85] () الهادية: المتقدمة.

[86] () القوامح من النسوة أو الدواب : من امتنعن عن الشرب ريّاً.

[87] () ينين: يفترن ويضعفن.

[88] () الندى: الكرم والجود. والشيم: الخلق والطباع والعادات الحسنة.

[89] ( ) القوارح من الإبل وغيرها : ما بان منها الناب فقرح وانشقّ وطلع.

[90] () الشعر الذي فاخرت به سلمى بنت عميص الخنساء هو التالي:

وكائن ثوى يوم الغميصاء من فتى كريم ولم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيّد كهل عليه مهابة أصيب ولمّا يعله الشيب واضحا
أحاطت بخطاب الأيامى وطلّقت غدا تئذ من كان في الحيّ ناكحا
ولولا مقال القوم للقوم أسلموا للاقت سليم بعد ذلك ناطحا

[91] () ذري: دعي واتركي. والكبش: الفحل في الغنم.

[92] () السوانح من الطير : ما يأتي منها من يمين المشاهد. وبها يتفاءل. أما البوارح فهي التي تأتي من يساره، وبها يتشاءم.

[93] () المقصود بمالك، هنا مالك بن حمّاد الشمخي، السيد والفارس والمغوار في بني فزارة، وكان قد قتله خفاف بن ندبة السلمي لما خرج غازياً مع معاوية بن عمرو أخي الخنساء قتله خفاف ثأراً لمعاوية.

[94] () الرواح: وجدان السرور الحادث عن اليقين.

[95] () نكأ الجرح والقرح: قشره قبل أن يبرأ. وقاح الجرح: صار فيه قيح، أي دم مخلوط بسواد وبياض خاثر.

[96] () القراح: الماء الخالص.

[97] () عيل صبري: أي ضاق عليّ واشتدّ.

[98] () هاض جناحي: كُسِرَ . والبراح: البعاد والفراق والألم.

[99] () العاني: الأسير.

[100] () السفر: جماعة المسافرين. والمعترّ: المتعرض للمعروف من غير أن يسأل. وهو الفقير أيضاً. وألاح: استحيا. وألاح بحقه إذا ذهب به. وألاحه: أهلكه.

[101] () الطم اح: من طمح إليه البصر .

[102] () الظِفر: الذي لا يطلب أمراً إلا ويظفر به، وينجح ويفلح. والجلد: الصبور، والنجيب: الذكي والذاكي الأصل والنسب.

[103] () أشاح في الأمر: جدّ فيه.

[104] () العناة: جمع العاني، وهم الأسارى.

[105] () المعمّم: السيّد الذي يقلده القوم أمورهم. والمدره: السيّد، وزعيم القوم، والمتكلم عنهم. والنطاح في الحرب : العراك.

[106] () ابن الشريد : هو صخر أخو الخنساء. وقيس: من أكبر عمارات العرب الشماليين، وتضم قبائل كثيرة. وتقابلها قبائل اليمن.

[107] () الفرقد : واحد الفرقدين، وهما نجمان في السماء الشمالية، قريبان من القطب. والفرقد، أيضاً، ما صلب من الأرض وارتفع. والهديل، صوت الحمام.

[108] () المهند : صفة للسيف المصنوع في بلاد الهند. وسُليم : أحد آ باء الشاعرة.

[109] () الهمام من الرجال: الشجاع السيّد السخيّ، وهو صفة للأسد. ومثله الأصيد : أي الذي في عنقه صيد، أي ميل واعوجاج.

[110] () بتنكد : بحسرة ومرارة.

[111] () الدسيعة: الجفنة الكبيرة، كناية عن جوده وكرمه. والأسعد من النجوم : ما يطلق عليه اسم سعد السعود، وهو أحد السعود الأربعة.

[112] () المراود والروائد : جمع رائد، وهو القذى الذي يجول في العين. والمراود: جمع مرود، وهو محرر البكرة من خشب أو حديد. والمراود، هنا في هذا البيت، جمع مرود، وهو الميل الذي تكتحل به العين، إشارة إلى امتناع الشاعرة عن الاكتحال حزناً على صخر.

[113] () المحارد من الإبل الإناث : التي قلّ لبنها. ومن السنين، ما قلّ مطرها.

[114] () صوارد ، باردة. وبلائل : جمع بليلة، وهي التي تبلّ الفؤاد وتنعشه.

[115] () الليط: اللون، والسجيّة، والجلد.

[116] () الخذم: المقطعة، والمسرعة.

[117] () تمخّخ العظم: أخرج مخّه. والنقية والنقي: مخّ العظام، وشحم العين.

[118] () تيممتك: لحقت بك، واتخذتك إماماً لها.

[119] () الصادر من الشاربين، من رجع من الشرب، والوارد من ورد الماء للشرب.

[120] () الغطامط : صفة للبحر، وتعني الكثير الأمواج. وجاشت: اضطربت. الوابل: المطر الشديد. والرواعد: السحاب مصحوباً بالرعود.

[121] () القروم : جمع قرم، وهو الفحل إذا ترك عن الركوب والعمل، والمقصود بالقرم : السيد على التشبيه بالقرم من الإبل لكرمه وعظم شأنه. والحِجَا: العقل. والخضارمة : جمع خضارم، وهو السيد الحمول للعظائم. والمرافد : جمع مرفد، وتعني المعونة.

[122] () المهائر : جمع مهيرة. والمهيرة من النساء، الحرّة الغالية المهر.

[123] () العارد: الفارّ والهارب، والمرتفع، والشديد والغليظ والكبير.

[124] () معاصم : جمع معصم، وهو موضع السوار من الساعد. وهنا بمعنى الملاجئ.

[125] () ابن الشريد : تريد به معاوية، أخاها. ورهط الرجل: أعوانه. والجفان: الصحاف يوضع فيها الطعام.

[126] () هوازن: قبيلة عربية من غطفان من العدنانية، وهي أخت سُليم. أشهر بطونها سعد بن بكر وثقيف وعامر بن صعصعة وفروعها.

[127] () بنو ذبيان : قبيلة عربية من غطفان من العدنانية، أخت عبس، كان بينهما حرب داحس والغبراء. وأرصدوا لكم: اعترضوكم وتهيَّؤ وا لكم.

[128] () النسالة : واحدة النسال، وهي ما يسقط من صوف أو من شعر عن النسل والسقوط. وهي صفة للفرس الســـ ريعة، ومثلها ضامر وجرداء. وضفزن: وثبن وقفزن. وضفزن الحدائد: دفعنها، وأدخلن اللجام في فم الفرس.

[129] () الأروم : جمع إرم وأرم، وهي الحجارة المنصوبة في المفازة ليهتدى بها. والآرام: الغزلان.

[130] () الخرائد : جمع خريدة، وهي الشابة الحسناء. ونستقيد الخرائد: نقود لهنّ ونثأر لهنّ.

[131] () جودا: أي انهمرا بالدموع الغزار. والندى: الكرم، وبه شُبّه صخر، لجوده وسخائه.

[132] () طويل النجاد : كناية عن طول قامته. والنِجاد، في الأصل، حمائل السيف، لأنه يعلو العاتق. وأمرد: لمّا يطلع شعر ذقنه بعد. كناية عن سيادته قومه في سنّ مبكِّرة جداً.

[133] () عالهم: اشتد عليهم، وكان عليهم شديد الوطء.

[134] () ألفيته: وجدته. وتأزّر بالمجد، اتخذ المجد إزاراً، أي ستراً ورداء.

[135] () السهود، والسهاد: الأرق وامتناع النوم. والعميد، والعميدة : من عمّدها الحبّ والوجد والحزن.

[136] () ثمود: قوم من العرب البائدة أرسل إليهم النبي صالح فكذّبوه.

[137] () يكبّون العشار : أي يجندلون النياق التي مرّ على حملها عشرة أشهر، ويعدّونها لتذبح لمن يأتيهم من الأضياف. وتحسب: تكفي.

[138] () رزئت: فجعت. جودي: انهمري بالدموع.

[139] () السجل: الدلو العظيمة فيها ماء قلّ أو كثر. والسجل: النصيب والضرع العظيم.

[140] () خناس : اسم للخنساء، وفي الأصل صفة للبقرة الوحشية لأنّ أنفها فيه خنس، أي تأخّر وتقبّض وتخلّف. وطويل الباع، وفياض وحميد وفرع، كلها صفات الصخر.

[141] () جليد: شديد الجلد والصبر، وهو خير بني سليم، قوم الشاعرة. والمسوّد: من جعلوه سيِّداً، والمسود: من كان عليه السيادة.

[142] () أبو حسّان : كنية صخر. وثمال القوم: غياثهم الذي يقوم بأمرهم.

[143] () أودت: أهلكت. والفيَّاض : الكريم، الشديد الفيض والجود.

[144] () عاد : اسم قبيلة عربية قديمة، أهلكها الله بعد أن كذّبت نبيّه هوداً. وحمير : من عرب الجنوب.

[145] () رمسه: قبره.

[146] () المطوَّقة : صفة للحمامة لأن في عنقها طوقاً يخالف لونه سائر ألوان بدنها. والورقاء، صفة ثانية لها.

[147] () الزغف من الدروع : الواسعة، المحكمة، والمضاعفة : صفة للدروع المحكمة الصنع التي ضوعف نسجها. والصارم : السيف. وتلأم : لبس اللأمة وهي الدرع.

[148] () النبعة : السهم المتخذ من النبع، وهو من أقسى الشجر وأصلبه. ومارن العود : إشارة إلى القوس الذي يمرق منها السهم.

[149] () النكس من السهام: السهم الذي ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله. والنكس من الرجال: الدنيء الضعيف الذي لا خير فيه. والغمر من الرجال: الكثير اللحم والشحم.

[150] () بيشة : موضع يشتهر بآساده. واللبد: جمع لبدة، وهي الشعر المجتمع بين كتفي الأسد. والبادي: الذاهب في البادية.

[151] () مصرصرة : صفة للريح، ومثلها النكباء والمغبّرة. والصرّاد: الغيم الرقيق لا ماء فيه.

[152] () المخارم: الطرق في الجبال، ومنقطع أنوفها. وانقضت: بادت. والبيد : جمع بيداء، وهي الفلاة. وأعلامها: آثارها وما يهتدى به في الف لاة.

[153] () المقربات : صفة للإبل يسار بها ليلاً. والصّيد: الأجواد، وهي صفة للأسود التي في أعناقها صيد، أي اعوجاج.

[154] () عباديد : العباديد ، والعبابيد، لا واحد لها، وهي الفرق من الخيل أو الناس. وهي أيضاً الطرق البعيدة.

[155] () معمودا: متألماً من الوجد والشوق.

[156] () الصنديد: الشجاع الجريء من الرجال.

[157] () ضرائبه : جمع ضريبة، وهي السجيّة والطبيعة. أي إ ن أخلاقه وطباعه جبلت محضاً، صافية من الدنس والإثم.

[158] () تخويداً : أي مشياً فيه إسراع. أي هو لا يتعدى على الفتيات الجارات فيسعى إليهن بالفحش والإثم.

[159] () حريباً : أي مسلوباً من مالك ومن كل شيء.

[160] () هجودها: نومها. والخليّ: الخالي من الهم والحب.

[161] () صنويّ: مثلاي. وسراة كل شيء: أعلاه وأمثله.

[162] () القرم من الرجال: سيدهم المتعالي فيهم والمقدّم والشجاع.

[163] () الرزية: المصيبة. وشبَّ وقودها: استعرت نيرانها. أما أبيات هند في أخيها وأبيها وعمِّ ها الذين قتلوا في يوم بدر مع المشركين فهي التالية:

أبكّي عميد الأبطحين كليهما ... ومانعها من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها

أولئك آل المجد من آل غالب وفي العزّ منها حين ينمى عديدها

[164] () القرم: السيد المفضال الشجاع. والأغر: الوضّاء الجبين، من في جبينه غرّة، وهي البياض في الجبين.

[165] () ولّها: أي فيها وله وكمد ولوعة.

[166] () المدره: السيد الجريء المقدام.

[167] () أثباج الشيء: أعلاه ومعظمه. والجزر، جمع جزور، وهي الناقة التي تعدّ للذبح.

[168] () يرقئها: يسكنها، ويخفف منها. والخمر : جمع خمار، وهو الغطاء للرأس. والعصب : جمع عصابة، وهي التي بها يعصب الرأس.

[169] () الجرثومة: الأصل. وبسقا: ذهبا علوّاً وارتفاعاً.

[170] () استوسق: اجتمع وانقاد.

[171] () تأوّبني : ألمّ بي وأصابني. ودرر: مدرار، غزير الدمع.

[172] () غاله: أهلكه.

[173] () خلائقه: جمع خليقة، وهي الطبيعة.

[174] () الضريك : الأحمق والضرير، والفقير السّيئ الحال. والقرر : جمع قرّة، وهي البرد.

[175] () يتعاوران: يتداولان، وملاءة الفخر : ثوبه.

[176] () نزت: وثبت. ولزّت العذر بالعذر : شدته به وألصقته.

[177] () الغلواء: الغلوّ. وغلواء الشباب: أوّله وحدّته.

[178] () هبلت: فقدت عقلك .

[179] () الحبركى : القصير الرجلين غير المنسجمين مع ظهره الطويل.

[180] () الهدي: كناية عن العروس التي تهدى إلى زوجها.

[181] () الغمر: الكريم الواسع الخلق.

[182] () مدلاًّ: عارفاً. تشتجر: تشتبك. والعوالي : الرماح. والوتر: الأخذ بالثأر.

[183] () رئبال وسبطر : صفتان للأسد الجسور.

[184] () العذر : جمع عذرة، ما بقي من الشيء، وقد يكون المعنى بغدر، أي : جمع غدير، وهو مجمع المياه، فهي تستحث عينها أن تجود بدمع كمياه الغدران.

[185] () العاني: الأسير. والغلق: المغضب. والوتر: الثأر.

[186] () طرقوا: حضروا ليلاً. والسفر: جماعة المسافرين.

[187] () سنة جماد: شديدة لم يصبها مطر. وتكسع: تطرد.

[188] () الغيث: المطر، ومثله الحيا.

[189] () المخبأة : صفة للمرأة المخدّرة. والكعاب : من كعب نهدها وكبر. والهزبر: الأسد.

[190] () هريت الشدق: كبير الشدق. والرّئبال: صفة للأسد.

[191] () ضبارمة: صفة للأسد الوثّاب.

[192] () الخادرات : جمع خادرة، وهي التي تخدر، أي تقيم في منزلها وسترها. والخوادر : الأسود في آجامها وخدورها.

[193] () قواعد : صفة للخادرات، وعريب: أحد.

[194] () الجدث: القبر. ومعترك : مكان العراك والقتال.

[195] () يعصوصب : يشتدون ويصيرون عصائب مجتمعة. والجادون: جماعة الباذلين بالمال وبالنفس. والغمر: السيد الجريء.

[196] () بسر: عابس. أي هو يستقبل الضيف بوجه بشوش.

[197] () أي إنّ أبواب صخر هي مفتوحة دوماً في وجه القاصدين.

[198] () نزر: قليل. وبكيء: كثير البكاء.

[199] () الغمر: السيد الجريء. والندى والجود: الكرم والسخاء.

[200] () بليج الوجه: منشرح الوجه، وضّاءه.

[201] () القنا والردينية: الرماح.

[202] () يقري الضيف: يقوم بأداء واجبه ويقدم له الطعام .

[203] () وزّعتها: سوّيتها ورتبتها استعداداً للحرب والقتال. والزجل: الصوت .

[204] () تردي: ترجم الأرض بحوافرها. وزفته: استخفّته وطردته.

[205] () كائن: كم، الخبرية، أي كم من مرة قرنت الحق... والصفوة: الفئة المختارة من الناس أو الأشياء. والسابح، والطرف : كلاهما صفة للفرس الفتي السريع. والكاعب والبكر : كلاهما صفة للفتاة الشابة الحسناء.

[206] () ثكلت: فقدت ولدها. تدعو على أمهات الذين مشوا به، أي بصخر، بالثكل وفقد الأولاد.

[207] () يواري: يخفي ويستر.

[208] () ومِ الحزم، أي: ومن الحزم، وفي العزّاء، أي الصبر على ما ينوبه الدهر.

[209] () ينهنه: يزجر ويمنع بالقول أو بالفعل. والزّجر: المنع.

[210] () الشرب: جماعة الشاربين من الخمرة. والفاحش: السيئ الخلق. وناكثاً: مخلفاً بالوعد، أو العهد. والسـرائر : جمع سريرة، وهي السرّ الذي يكتم.

[211] () واكفة الق طر: السحابة الدائمة المطر.

[212] () النضر: الحسن الجميل. والغضارة: النعمة وطيب العيش.

[213] () بنو سليم : قوم الشاعرة. وفقعساً : قوم الذين قتلوا صخراً. وضنك: ضيّق.

[214] () النضخة: المطرة. والمقصود بها الدفعة أو الرشقة من السهام والنبال.

[215] () تفضّوا جمعهم: تبيدوا جمعهم وتهلكوهم.

[216] () الجائفة: الطعنة من الرمح وسواه، التي تبلغ الجوف.

[217] () المقوّم : صفة للرمح الذي قوّموه وجعلوه مستقيماً. ولدن الكعوب : صفة ثانية له. واللدن: الطيّع والمرن. والكعوب : جمع كعب، وهو المفصل الذي يكون في الرمح. والذرب من الأسنة أو السّيوف : ما نقع منها في السّم ثم شحذ. وشباة السنان أو السيف : قدر ما يقطع به. وقادم النسر : إحدى قوادمه، أي ريشه الكبير الظاهر. وما خفي منه يقال له الخوافي.

[218] () صفينة : اسم علم. وغدوة: صباحاً، والمعمم: صاحب الخير العميم، والمشهور. والمقصود صخر أخو الخنساء.

[219] () الحقيقة: ما يجب الدفاع عنه من مال أو عرض وغيره. والمجير: المغيث والمؤوي . ونوائب الدهر: صروفه.

[220] () الجفنة: القدر الكبير. وهذا كناية عن جوده وكرمه.

[221] () المرجل: القدر الكبيرة جداً، كناية عن الكرم.

[222] () رزئوا: فجعوا وأصيبوا بمهلكه. ويريشهم: أي يكسوهم ويطعمهم ويمدهم بالقوة كما تراش السهام.

[223] () نوافله: أعطياته.

[224] () الأسوة: ما يتعزّى به.

[225] () القلّص الضّمر: صفتان للخيل أو الإبل السريعة. والسرى: السير ليلاً. وعقدة ويلبن : اسما موضعين بعينهما.

[226] () يخبّ: يسرع، ويمشي مشية الخبب ، وهو ضرب من السير للخيل أو الإبل.

[227] () القذى: الوسخ وما يدخل العين من قشّ ونحوه. والعوّار: ما يعتورها من رمد أو وجع وغيره.

[228] () مدرار: سريع الدرّ وكثيره وغزيره.

[229] () العبرى : صاحبة العبرات والدموع، والولهى، وولهت: ضاع لبُّها وجداً وحزناً.

[230] () خناس: اسم للخنساء الشاعرة نفسها.

[231] () النخيزة: الطبيعة. ومهصار: شديد الهصر، للمبالغة، والهصر : صفة من صفات الأسد الذي يهصـــر، أي يعطف ويكسر فريسته.

[232] () أي : إنّ صخراً يتحاماه أصحاب الموارد، موارد الماء، أو الذين يردون الماء، فهو يرد بخيله ورجله، ثم يصدر عن الماء، وما في ورده عار أو ظلم.

[233] () السبنتى : صفة للنّمر. والهيجاء المعضلة : كناية عن الحرب.

[234] () العجول: الثكلى التي فارقها ولدها. والبوّ: جلد ولد الناقة الذي يحشى بالتبن وغيره، يؤتى به للأم فترأفه.

[235] () التسجار : مدّ الصوت والحنين.

[236] () نحّار : أي هو ينحر الإبل وغيرها ليطعم الضيوف.

[237] () عقّار : أي هو يعقر الإبل تمهيداً لنحرها وتقديمها للأضياف. والمقدام : الشديد الإقدام والكرّ في الحروب، للمبالغة .

[238] () العلم : الجبل. وتأتم الهداةُ به: تسير بهداه وعلى ضوئه.

[239] () مسعار : شديد الجرأة، فهو الذي يسعّر نار الحرب ويشعلها.

[240] () ابن نهيك : اسم علم لشخص. وترجّم: يتكلم عنها بالظن.

[241] () مهمار : شديد الانصباب والانهمار، كناية عن الجود.

[242] () مسغبهم : مجاعتهم. وميسار: صاحب يسر وخير كثير.

[243] () الرديني : صفة للرمح. وطي البرد : كناية عن الكفن الذي كُفّن به صخر. وأسوار : كناية عن شبابه ونضارته. والأسوار : ما يلبس في المعصم من ذهب للزينة وغيره.

[244] () مؤتشب: مخلوط، أي هو خالص من كل أشب وزيادة. والمريرة: العزيمة.

[245] () مقمطرات : أخشاب وسواها. واللحد: جانب القبر.

[246] () القار : مادة سوداء تطلى بها الإبل والسفن. والطخية: الظلمة.

[247] () مغزار : شديد الغزارة. ومثلها مدرار.

[248] () العوَّ ار: ما يدخل إلى العين من قذى وغيره. وقد يكون الوجع والرمد نفسه.

[249] () أتغشّى: ألبس. والأطمار: الثياب.

[250] () ينمي: يذيع وينشر.

[251] () المريرة: العزيمة.

[252] () المطوّقة: صفة للحمامة المعروفة بنواحها وبكائها. والساري: السائر ليلاً.

[253] () القار: مادة سوداء تطلى بها الإبل. وجؤنة القار: جفنتها، والخابية المطلية بالقار.

[254] () سليم وعوف : من قبائل العرب. وعميمة : مشهورة.

[255] () إخفار : المصدر من أخفر، إذا أرسل معه خفيراً. أي تركوه وحده، ولم يدافعوا عنه.

[256] () يستدفّ: يحلق لكم بالموس. تعيّرهم بالجبن والصغار.

[257] () مكتنع: ملاحق ومضايق ومتربص به.

[258] () ترحضوا: تغسلوا. وتجللكم: اكتنفكم وأحاط بكم. والعوارك : صفة للنساء. والحيض: دم الطمث عند المرأة.

[259] () الشكيمة : الحديدة توضع في فم الفرس، كناية عن القوة. وذو اللبدة : كناية عن الأسد. والضاري: الشديد المفترس.

[260] () العرين: بيت الأسد. والهيجاء: الحرب.

[261] () الجائفة: صفة للطعنة بالرمح أو السهم، وهي تبلغ الجوف. والنجيع: الدم.

[262] () الأروع: الشهم الذكي، من يعجبك بحسنه وجماله. والذمار: كل ما يلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه، وإن ضاع لزم صاحبه اللوم.

[263] () الجدى والجدا: العطاء. والنجار: الأصل.

[264] () هلكه: مصرعه. أي هلك صخر. ونجوى السرار: ما خفي من الأسرار في الضمير.

[265] () العناة : جمع عانٍ، وهو الأسير الفقير. والإسار: الأسر.

[266] () الخبار: ما لان من الأرض واسترخى.

[267] () العثار: ما عثر به. وهو الشرّ والمكروه والمهلكة.

[268] () المستجار : مكان الاستجارة والاستغاثة. والكربة: واحدة الكرب، وهي الهموم والأحزان.

[269] () القطار والقطور والمقطار: السحاب الكثير القطر.

[270] () السّوار : جمع سارية، وهي الغيمة الممطرة مساءً. والصوب: المطر.

[271] () الهام : جمع هامة، وهي رأس كل شيء، وتطلق على جثته. وهنا، هو نوع من الطيور الأسطورية، أو نوع من البوم الصغير تألف القبور والأماكن الخربة. قيل إنها تخرج من رأس الميت فتصيح: اسقوني، اسقوني، حتى يؤخذ بثأر القتيل فتكف عن الصياح.

[272] () شعار: رداء.

[273] () لا تمار : أي لا تمار في هذا الأمر، ولا تجادل. أي إنه لابُدَّ واقع.

[274] () الأوار: الاضطرام والاشتداد. والحومة: أشد موضع في ساحة القتال لأن الأقران يحومون حوله.

[275] () يردي: يرسل. ونقعها: مجتمع الدماء فيها. والسابح : صفة للفرس السريع. والسرحان: الذئب. والحضار: العدو .

[276] () ذاده : حفظه، جمع ذائد. والذمار: ما يجب الدفاع عنه وصونه.

[277] () البيت : البيت الحرام، أي الكعبة. والعيس: النّوق الفتيّة. والجمار : ما يرميه الحاجّ في منى من حجارة على الشيطان .

[278] () هوادي العشار: النياق التي مضى على حملها عشرة أشهر.

[279] () تباريحها: آثار آلامها. والشجا والشجى : الحزن.

[280] () شمائله: جمع شميلة، وهي الصفة أو المنقبة الحسنة.

[281] () العارية: ما يستعار، وعلى المستعير أن يردّها لصاحبها. والعانية: الأسيرة الفقيرة. والضيغم: الأسد. والقِرن: المثيل . وهصّار: كسّار.

[282] () الراغية : صفة للناقة التي ترغو.

[283] () شانيك : مبغضك. واستعباري : حملي على إنزال العبرات والدموع.

[284] () منزور: قليل. وأعولا: صيحا.

[285] () الخير: الخير والمناقب الحسنة.

[286] () وزعت: أرسلت وتفرقت. والمطايا : جمع مطية، وهي الحمولة وما يركب عليها. والكور: رحل البعير، أو هو الرحل بأداته، وهو مما يذلّل به البعير ويوطأ.

[287] () مخبور: مجرّب ومعروف. وطرقوا: نزلوا ليلاً.

[288] () الحلس: الملازم الذي لا يبرح مكانه، وهو الشجاع المقدام.

[289] () المشرفية : صفة للسيوف.

[290] () نقف البيض: ضربها وظهورها. واعتسفت الطريق: ركبها على غير هداية ولا دراية. واعتسف الأمر: ركبه بلا تدبّر .

[291] () اليعافير: جمع يعفور، وهو الظبي أو الغزال.

[292] () المساعير : كناية عن الأبطال الأشدّاء، جمع مسعر، وهو في الأصل موقد النار للحرب.

[293] () عفات : عفيفات طاهرات.

[294] () محدور: منحدر، والجمان: اللؤلؤ والفضة. ومنزور: نزر قليل.

[295] () شمائله: أخلاقه وطبائعه الحسنة.

[296] () صدع: شقّ. ومجبور: معالج.

[297] () الحور : جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين وسوادها.

[298] () السراحين : جمع سرحان، وهو الذئب. والكابي : الذابل. والمعقور : الذي به عقر، وجرح.

[299] () النجائب: جمع نجيبة، وهي الناقة الكريمة.

[300] () العجاج: غبار الحرب. وسنابك الخيل : أطراف حوافرها. وأكدر: قاتم.

[301] () أعسر الدهر: صار عسيراً وشديداً وصعباً.

[302] () الشليل: الغلالة تلبس تحت الدرع، أو هي الدرع الصغيرة.

[303] () يقيني: أي بقين لعجز فيهنّ، إشارة إلى الخيل، ومطابقة الخيل: وضع أرجلها موضع أيديها. والحرار : جمع حرّة، وهي الأرض القديمة السوداء.

[304] () صاخد: شديدة الحرارة. والهاجرة : شدة الحرّ عند الظهيرة. والخمار: البرقع للرأس تستر به الجارية رأسها.

[305] () الكميّ: الفارس المقنّع الشديد البأس. وتردي: تصرع.

[306] () العشار: الإبل التي مضى على حملها عشرة أشهر. والنجيع: الدم.

[307] () القتود : جمع قتد، وهو خشب الرّحل. والصوار: قطيع بقر الوحش.

[308] () أرطائه : نوع من الشجر الصحراوي.

[309] () ثمال القوم: غياثهم الذي يقوم بخدمتهم ونجدتهم. وهرّت الحرب: اشتدّت وعلا صياح أبطالها.

[310] () العجاجة : واحدة العجاج، وهو غبار الحرب. ومسحومة : فيها سحمة أي سواد.

[311] () الهماهم: جمع همهام، وهو الأسد، والسيد الكريم.

[312] () مدره الحرب: صاحبها وبطلها، والسيد المقدام فيها.
[313] () الصفاة: الحجر الأملس.
[314] () اقمطرت: تجمعت. والمغار : مكان الإغارة.
[315] () تعرَّ قني: أصابني بالعرق والهلكة. والنهس والحزّ: ضربان من الوخز.
[316] () سراة: رؤوس وسادة.
[317] () الأساة : جمع آسٍ، وهو المعالج والمداوي. والعديم: المعدم و فقير الحال.
[318] () ملمومة : صفة للفرقة من الجيش. والرداح: الكتيبة من الجيش.
[319] () بيض الصفاح: السيوف.
[320] () يجمزن: يقفزن ويمشين مشية الجمز، وهي ضرب من العدو.
[321] () النواصي : جمع ناصية، وهي شعر مقدم الرأس.
[322] () نسج الحديد : كناية عن الدروع. والخز والقز: الحرير.
[323] () ذا مرّة : أي ذا طبيعة تغضب لكل مهانة وظلم. واختلس: خُطف.
[324] () الكتيبة: القطعة من العسكر.
[325] () الكميُّ: الفارس الـــمقنَّ ع والمزوّد بالحديد والسلاح. ومنقعس : مجدّل طريح الأرض.
[326] () الغلس: الظلمة.
[327] () رُمس: دفن في الرمس، أي القبر.
[328] () بنكس : بإخفاق وفشل ذريع.
[329] () الكريهة : صفة للحرب. والحلس: الشجاع الفارس المقدام.
[330] () القنس : الخسيس والشريف معاً. من أنواع التضاد.
[331] () الأيد: القوَّ ة.
[332] () العجول: الثكلى التي فقدت ولدها من الحيوان أو الناس.
[333] () بنو سليم : قوم الشاعرة. والأمراس: جمع مرسة، سميت بذلك لتمرّس الأيدي بها. وهنا، كناية عن شدَّ ة البلاء.
[334] () تغادينا: تأتينا غدوةً. وتطرقنا: تأتينا ليلاً.
[335] () تزايلنا: تفارقنا. والأرماس، جمع رمس، وهو القبر.
[336] () الهام من القوم: الرؤوس أو أعالي الرؤوس والمقدمون فيهم.
[337] () الجديدان: الليل والنهار.
[338] () تغيضي: تغوري، وتصيري شحيحة.
[339] () فتى سليم: صخر، أخو الشاعرة، والقريض: الشعر.
[340] () الوالهة : التي بها لوعة وحسرة. والهبول ، من هبلت ولدها وفقدته. والمهيض: المكسور الضعيف.
[341] () الدنف: الضعيف الخائر القوة.
[342] () الهجول: السائلة، والمفرد هاجل. وهي ما اطمأن من الأرض.
[343] () التبل: الحب والعداوة. والتبل، أيضاً: السّقام من الحبّ وغيره.
[344] () المهند : صفة للسيف، وكذلك العضب والحسام ورقيق الحد، والمصقول، والرّحيض.
[345] () الأيك: ضرب من الشجر الملتفّ.

[346] () البيداء: الفلاة. والبلقع: المقفرة الخالية من السكان.
[347] () تطيش سهامه: لا تصيب هدفها. وغاله: أهلكه.
[348] () أهجع: أنام. وعالني : جعلني ذا عيلة وعجز.
[349] () توزع: ترسل وتتفرق.
[350] () الجمان: اللؤلؤ والفضّة.
[351] () مصقع: لاذع ذرب اللسان، لا يبارى.
[352] () الوعوع: الخطيب البليغ، ويطلق الوعوع على الثعلب أيضاً. واليسر: السّهل اللّين.
[353] () ظنابيبه : جمع ظنبوب ، وهو عظم الساق. والقد: السريع.
[354] () أمون: صفة للناقة.
[355] () الندى: الكرم والجود.
[356] () قرى الأضياف: إطعامهم.
[357] () معولة: صائحة نادبة.
[358] () نقيبته: طبيعته الحسنة. وجمّ: كثير.
[359] () رزئناه : فجعنا به وأصبنا.
[360] () جدُّع أنفها: قطع. والمسمع: الأذن.
[361] () ورقاء: حمامة. غيلتها: مكانها. والأفنان: الأغصان.
[362] () العارض: السحاب الممطر. والودق: المطر.
[363] () خبل القلب: ذهابه وضياعه.
[364] () تلاد المال: المال القديم، والشهباء : صفة للنازلة.
[365] () السراة: علية القوم. والغطريف: السيد الكريم.
[366] () تسويفا: تأجيلاً وتأخيراً.
[367] () مرهت : ذابت وحنت.
[368] () وكفة: سائلة وراشحة .
[369] () حندر العين: حدقتها.
[370] () الكوم: الإبل، ومثلها الصفايا.
[371] () مزدلفة: منصبّة، وقاصدة.
[372] () القطا: نوع من الحمام البريّ.
[373] () الدبور: ريح من الشرق تنعش الأنفس.
[374] () مهراق: سائل . وهدى الناس : انبروا يمشون نهاراً في طريق الهدي، وهو ما يذبح في الحجِّ بمنى .
[375] () الهتوف : صفة للحمامة، ومثلها ذات أطواق لأن في عنقها طوقاً ملوَّ ناً.
[376] () العبرى : من تذرف العبرات والدموع.
[377] () مخترم: مصيب ومهلك. والبرية: الخلق كلُّ هم.
[378] () العود والناب : صفة للناقة. والطرف: صفة للفرس السريع.
[379] () ذي رحم : ذي قرابة. والوجد: الحزن.

[380] () هريقي : لغة في أريقي، أي صُبِّ ي دموعك. وأطقت: استطعت.

[381] () بنو سليم، قوم الشاعرة وقوم صخر. والعقيق : اسم صحراء ووادٍ ممرع بالقرب من المدينة بالحجاز.

[382] () سوى قصد الطريق : أي هي لن تترك البكاء على صخر أبداً.

[383] () إشارة إلى النعل التي كانت الخنساء علقتها بخمارها، وهي محلوقة الرأس، وكانت تطوف بالكعبة وهي تبكي وتلطم خدّها، تندب أخاها صخراً وأخاها معاوية. وكان عمر بن الخطاب قد رآها على هذه الحال فوعظها فكفّت عن ذلك.

[384] () الهيجا والهيجاء: الحرب. وفزعوا: هبّوا. والخروق : جمع خرق، وهو الفارس الهمام.

[385] () صلصل ناجذاها: اشتد أوارها وكشَّرتْ عن نابها، والناجذان: النابان من الأسنان. والكماة: الفرسان، جمع كمي.

[386] () الأدماء : صفة للناقة السوداء. والفنيق: الفحل من الإبل.

[387] () أفثت: أبطأت. وتستهل: تفيض بالدمع. وتحفل: تمتلئ.

[388] () الدسيعة: الجفنة. وضخم الدسيعة : كناية عن الجود وإقراء الضيف. والسورة: الصفة، والغضب.

[389] () تبعَّقَ: انبجس وظهر. والوابل المتهلل : صفة للمطر الشديد.

[390] () سيباً: عطاء.

[391] () النجوة من الأرض: ما ارتفع منها، وما استتر. والضيم: الذّل.

[392] () الخادر: صفة للأسد الذي يأوي إلى خدره ومثله المتبسل، أي الجريء.

[393] () شرنبث أطراف البنان : أي قوي الأظفار. والضبارم : صفة للأسد الشديد. والعرين: بيت الأسد. والغيل : المكان الذي تعيش فيه الأسود ويكون ملتفّ الأشجار. والعرس: الزوجة. والأشبل : أولاد الأسد، جمع شبل.

[394] () هزبر : صفة للأسد، ومثله هريت الشدق : أي واسعه. ومثله أيضاً رئبال وجانب العين. والأنجل، في عينه نجل.

[395] () تعار ويذبل : اسما جبلين بنجد.

[396] () الأيد : صاحب الأيد والقوَّ ة.

[397] () النجاد : موضع حمالة السيف، وطويل النجاد : كناية عن الطول والرفعة . والوغد: الحقير الديّوث من الناس، والجبان، ومثله الزّمّل .

[398] () الحقيقة : ما يجب الدفاع عنه من عرض أو مال.

[399] () الورد : صفة للأسد، لونه كلون الورد. والأشبل : جمع شبل، وهو ولد الأسد.

[400] () مدلاً: مقبلاً ومشرفاً. واللبدة : الشعر على رأس وفي عنق الأسد.

[401] () اعتزى: انتسب.

[402] () الشول: الإبل التي تشيل بأذنابها.

[403] () السجول والسجال: الدائمة الجود. والهمول : المنهمر.

[404] () نابه: قصده وأمَّهُ .

[405] () الأتلع : الأرفع.

[406] () القرم: سيد القوم. والصؤول : من فيه صولة وجرأة.

[407] () الغليل : من في صدره غلّة، أي حقد. وفي الأصل الغلّة: العطش.

[408] () أي هو لا يتظاهر بالسعال والمرض إذا طلب منه الجداء والعطاء.

[409] () الخنشليل : الفارس المقدام الجريء. وهي صفة للناقة القوية.

[410] () بنو العلة من الأخوة، من كانت أمهاتهم شتى.

[411] () هاض: كسر. والجليل: الكبير العظيم.

[412] () غالني: أهلكني. ونكا، ونكأ الجرح: زاد في توسعته.

[413] () أتلع: مرتفع واضح. والقرن: الفارس المثيل له.

[414] () مسعر حرب: أخو حرب قادر عليها. من السعير، أي الحريق. والشليل: الدرع الصغيرة تلبس تحت الكبيرة.

[415] () الكوم: الإبل والناقة منها. والناب: الناقة المسنّة القوية، ومثلها المصعبة الخنشليل .

[416] () استهلَّا: أي فيضا بالدموع. والمنزور: القليل. وعلَّا : انهمرا بالدموع ثانية.

[417] () الأغرّ: الكريم والذي في وجهه وجبينه غرّة، وهي البياض. والكلّ : الكلال والتعب.

[418] () جنّ: ستر. والمزن: المطر.

[419] () هوابل : جمع هابلة ، وهي التي تهبل وتسقط، وتهلك.

[420] () النهل: الشرب أوَّل مرَّة. والعلّ والعلل : الشرب ثانية، ومرَّة بعد مرَّ ة.

[421] () جلّلتم: سترتم، ووضعتم فوقه كالجلال من الحجارة والصخور.

[422] () ديمات : جمع ديمة، وهي المطرة الناعمة. والوابل من المطر : ما كان قوياً وشديداً.

[423] () تزايله: تفارقه.

[424] () عواسله : جمع عاسلة، وعاسل. وهو صفة للذئب.

[425] () الآرام: الظباء. والصريم: القطعة منها.

[426] () راطل الميزان : من يرطله، أي يضع في كفّته الرحل من العيارات.

[427] () آسى: أحزن.

[428] () تحشّ: تحرك. والأجذال : جمع جذل، وهو النكتة البارزة في الغصن.

[429] () الكريهة : صفة للحرب.

[430] () الرجراجة : صفة للكتيبة. والبيض : ما يوضع فوق رأس الفارس من الحديد. والمضاعف : صفة للدرع يلبسها الفارس .

[431] () الكفرئة : الهزمة من المطر. والصبير: السحاب الأبيض.

[432] () تقد: تقطع. والذؤابة: أعلى الشيء. ويذبل: اسم جبل معروف.

[433] () غالها: أصابها وأهلكها.

[434] () معترك: مكان العراك. والمنيّة: الموت.

[435] () السوقة من الناس: الرعاع.

[436] () ثهلان : اسم جبل معروف. والمدام: الخمرة.

[437] () الأجام : جمع أجمة، وهي المكان الذي تكثر فيه الأسود.

[438] () يسجم: يسيل سجالاً. والجمان: اللؤلؤ، وحبّاته المنضودة في العقد.

[439] () الشيظم : صفة للأسد والناقة وللرفيع العالي من كلِّ شيء.

[440] () الخضارمة القماقم: السادة الشجعان الأشراف.

[441] () الصوب: المطر. والرهائم : جمع رهمة، وهي المطر الخفيف الدائم.

[442] () خثعم : اسم قبيلة عربية.

[443] () بيشه : اسم علم لمنطقة في تهامة.

[444] () أتهم: أتى تهامة جنوبي الحجاز وعسير.

[445] () الأثافي : جمع أثفية، وهي الحجارة التي يوضع عليها القدر. والسمك: الارتفاع.

[446] () اللها : جمع لهاة، وهي اللحمة في أقصى الحلق .

[447] () العلجوم : ذكر الضفادع.

[448] () أشجان: أحزان.

[449] () أشطان: جمع شطن، وهو الحبل.

[450] () القرم: السَّيِّ د المغوار. والمهجان : الهجين، الغريب. والأرومة: الأصل.

[451] () المتلد ، والتلاد: المال القديم الموروث.

[452] () النكس: الخسيس والحقير.

[453] () سرحان: ذئب. والقيعان: جمع قاع، وهو الوادي النضير.

[454] () حلاحل: سيد شريف. والضريبة: السجيّة.

[455] () سغبوا: جاعوا.

[456] () قذاها: ما يعلق بالعين من أذى وغبار وغيره. والعوار: الرّمد. والكرى: الرقاد.

[457] () الناب: الناقة المسنة. وترأم: تعتني. وطلاها: أولادها.

[458] () الصهب: صفة للنياق. ومثلها اليعملات .

[459] () الجحاجح: السادة الأشراف.

[460] () السابغة: صفة للدرع. ومثلها الدلاص. والخيفانة: صفة للناقة.

[461] () العوالي: الرماح، وتشتجر: تشتبك. ومصطلاها: مكان اصطلائها واضطرامها.

[462] () السحرة : الهزيع من الليل عند السحر، قبيل الفجر.

[463] () رزئت: فجعت.

[464] () قيس وزيد وعامر وغسان : قبائل عربية. واللاحي : المقبّح اللاعن.

[465] () المستهلات : صفة للسحاب الممطر. والغوادي : السحاب الذي يهطل في الغداة.

[466] () أودى: هلك. وأبو حسّان، كنية صخر أخي الخنساء. والعالية : المقصود بها عالية نجد.

[467] () السنة العادية: السنة الشديدة القحط.

[468] () تسترفد: تطلب رفده وعونه. والأروع: الشريف العالي المقام. وذو مرّة : ذو قوّة خارقة.

[469] () ترعية ونكس : جبان منخذل.

[470] () الرجع : صفة للرعد. والمدجنة : الغمامة السوداء شديدة الإظلام. والسارية: السحابة التي تمطر مساء.

[471] () حثيث الشدّ : صفة للفرس السريع. ومثله ذو الميعة، وهي الرونق والفتوّة والقوَّ ة.

[472] () طرقت: أصابت أو نزلت ليلاً. والداهية: المصيبة.

[473] () لزاز الحرب : مسعرها الأشد. وشبوبها: اضطرامها. وذاكية: مشتعلة.

[474] () السعال، والسعالي : جمع سعلاة، وهي الغول، أو أنثى الغول، الحيوان الأسطوري. والعقبان، جمع عقاب : وهو الطائر الكاسر المعروف. والزبانية : الجلاوزة ومن يقوم بخدمتها.

[475] () تعار : اسم جبل معروف.

الفـــــهـــــرس

المقدّمة
يا عين مالك لا تبكين تسكابا
حتى يُصبَّح أقواماً يحاربُهم
مأوى اليتيم وغاية المنتاب
أرقت ونام عن سهري صحابي
وليس لها منه سلام ولا حرب
ما بال عينيك منها دمعها سرب
يا عين جودي بدمع منك مسكوب
ويقصم عود النبع وهو صليب
فما أحنثَتك الخيل حتى أبرّت
فقد عظمت مصيبته وجلّت
وكنت لنا عيشاً وظلَّ ربابة
مبيح تلاد المستغشّ المكاشح
يا عين جودي
ذري عنك أقوال الضّلال
مِدرهُ الحرب حين يلقي نِطاحا
يابن الشّريد وخير قيس كلّها
يا عين جودي
ولست أرى شيئاً على الدّهر خالداً
ألا تبكيان لصخر النّدى؟
بكت عيني وعاودت السهودا
فلا تبعد أبو حسّان صخر
سمح الخليقة لا نكس ولا غمر
ضاقت بي الأرض
حتّى توفّاك ربّ الناس محمودا
ونيران حرب حين شبّ وقودها
كالشمس في خير البشر
كبنات الماء في الضّحل الكدر
فاذهب حميداً ...

كنّا كغصنين ...
وافي الذّمام إذا ما معشر غدروا
جارى أباه ...
لقد أودى الزّمان إذاً بصخر
فقد كان بسّاماً ومحتضر القدر
ويدرك وتره في كلّ وتر
وأيّ فتى كصخر
ماذا يحملون إلى القبر؟
أصبحت لا تُحلي ولا تُمري
لا يأتلي في جوده يجري
فلنعم ربِّ النار والقدر
إن كنتِ عن وجدك لم تقصري
قمران في النادي ...
كأنّه علم في رأسه نار
أرعى النجوم وما كلِّفت رعيتها
فكلُّ حيٍّ صائر للبلى
كالبدر يجلو ولا يخفى على السّاري
والآن صرت تناح بالأشعار
يعطي الجزيل على عسر وميسور
ففي فؤاديَ صدع غير مجبور
يجود ويحلو حين يُطلب خيره
وينعصر الماء منه انعصارا
إذا الحرب هرّت واستمرّت مريرها
ونتّخذ الحمد ذخراً وكنزا
فصل الخطاب إذا التبس
أيصبح في الضُّريح وفيه يمسي؟
ما للمنايا تغادينا وتطرقنا
ولكن يفسد الناس ...
أفرّج همّ صدري بالقريض
وليس لمن قد غاله الدهر مرجع
أكلّ الوزوع بنا توزع؟
كذاك لكلّ فتى مصرع
دعوت لها صخر الندى ...

فنعم السيّد الداعي
وجدّع منها كلّ أنف ومسمع
وفي المزاحف ثبت غير وجّاف
يا لهف نفسي على صخر ...
كلّ يوم ينال منّا شريفا
مرهت عيني
تعطي الجزيل بوجه منك مشراق
اذهب فلا يبعدنك الله من رجل
هو الرّزء المبين ...
أمن حدث الأيَّام عينك تهمل
يحامي عن الحي ...
دلٌّ على معروفه وجهه
بكت عيني وحقّ لها العويل
كأنّني بعدك فيهم نقيل
فقد أورثتما حزناً وذلًّا
لقد أضحكتني دهراً طويلاً
سقى الإله ...
وكنت تراباً بين أيدي القوابل
يا صخر من للخيل ...
وفي القلب منه زفرة ما تزايله
ألا ما لعينك أم مالها
فيا حبّذا كوز ...
وليس بكأس المدام ...
ويعجز عن إفضاله كلّ شيظم
أسقى الإله ضريحه
لنعم الفتى أرديتم آل خثعما
وكلّ بيت طويل السّمك مهدوم
خصصت بها أخا الأحرار
شهّاد أندية حمال ألوية
طلق اليدين وهوب غير منّان
بكت عيني وعاودها قذاها
أخوين كالصّقرين ...
ألا أيّها الدّيك ...

أخو الجود يبني للفعال العواليا
لم ينهه النّاهي ولا النّاهية
وكان لزاز الحرب عند شبوبها